زينوبيا ملكة تدمر

أوبرا شعرية تاريخية كبرى ذات أربعة فصول

تأليف

أحمد زكي أبو شادي

الكتاب: زينوبيا ملكة تدمر

الكاتب: أحمد زكي أبو شادي

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة - جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

أبو شادي ، أحمد زكي

زينوبيا ملكة تدمر/ أحمد زكي أبو شادي

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٩٥ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولي: ٥ – ٢٥٨ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ١٠٨٠٤ / ٢٠٢١

زينوبيا ملكة تدمر

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

تصدير

ألَّف بعضُ مشاهير رجال الأدب والفنِّ من الأوروبيين أوبرتين مختلفتين جدَّ الاختلاف في موضوعهما عن (ملكة سبأ) أو (بلقيس) المذكورة في القرآن والإنجيل الشريفين، وهي غير (الزَّبَّاء، ملكة تدمر أو پالميرا أرملة الملك أُذنية)، وإنْ كثر الاشتباه اللفظي بينهما لدى الجمهور ولا سيما في أوروبا، وهذا ما يدعوني إلى هذه المقدمة. وأشهر هاتين الأوبرتين الأوبرا النمساوية المسماة "Die Koningen von Saba" أو (ملكة سبأ The Queen Of Sheba)، وقد وضعها ج. هـ. موزنتال "G. H. Mosenthal" ولحَّنها كارل جولد مارك "Karl Goldmark" وأُخرجت في فينا في العاشر من شهر مارس سنة ١٨٧٥م، وبها خلَّد جولدمارك ذِكراه، كما أنَّ موسيقاها الشرقية النَّفحة البديعة الجذَّابة كانت من عوامل نجاحها في أوروبا. وأما الأوبرا الأخرى فكانت سابقة لهذه وكانت فرنسية ومُعَنونة بالاسم ذاته مترجمًا "La Reine De Saba"، وقد

ألَّفها بربييه "Barbier" وكاريه "Carré" ولحَّنها جوتوه الموسيقي الفرنسي الشهير مُلحِّن فاوست Faust، ولكنَّ روايته هذه معدودة بين سلسلة مؤلَّفاته الموسيقية التي لم تنل إقبال الجمهور عليها، وقد أُخرجت في سنة ١٨٦٢م.

أما هذه الأوپرا: (الزَّبَّاء Al-Zabba أو Zenobia)[١] فمستحدثَةٌ، ولا شأن لها بسيرة (ملكة سبأ) ولم يسبق تمثيلها بصورةٍ ما، وهي مختلفةٌ جدَّ الاختلاف عن معظم ما كتب في بحثها سابقًا من الوجهة القصصية (فضلًا عن أنَّه لا علاقة لها كما قدَّمنا بسيرة ملكة سبأ أو بلقيس وإنْ تشابه الاسمان الأصيلان «سبأ» و«الزَّبَّاء» عند الفرنجة)، وهذا الاختلافُ قائمٌ موضوعًا وتاريخًا وتحقيقًا ومَرْمًى: فأما الموضوع فينزع إلى الإشادة بأشرف العواطف القومية وعِزَّة النفس والتضحية الجليلة، وأما التاريخ فهو أحدث ما نعلَمُه عنها مع مراعاة مقتضيات الأوپرا، وأما التحقيق فحسبي منه تجنُّب ذلك النوع من الخرافة الذي لا يُكسِب الأوپرا رونقًا ولا يخدم الحقيقة المحبوبة على أيِّ حال، وأما المَرْمَى فهو

التهذيبُ الفنيُّ والخُلُقي معًا لا مجرَّد اللهو والتسلية بسرد قصةٍ أو تمثيل رواية لا عبرة منها ولا جَدْوَى، وهذه أمانة قومية في عنقي لم أغفل ولن أغفل تقديرَها ما حييت.

بهذه النزعة أخذتُ أنظم هذه الأوبرا تقديرًا لهذه الملكة العربية الجميلة التي كانت تنتسب أيضًا إلى (كليوباطرة) ملكة مصر وإن كانت مثال الاستقامة والشرف، بعكس (كليوباطرة) التي دعاها (بروبوديتوس) المؤرِّخ الرُّوماني «ملكة المدينة النَّجسة» مشيرًا إلى (كانوب) مدينة الفجور القديمة برمل الإسكندرية! وقد حكمت (الزَّبَّاء) زمنًا على مصر وامتدَّ مُلْكَها امتدادًا عظيمًا وخشي سطوتها الإمبراطور (أُورليان) الرُّوماني، ولبثتْ عزيزة حتى بعد أن تقلَّب لها الزمن وبعد أن سقطت دولتها وأُسِرَت في سنة ٢٧٣م، فقد شاءت الأقدارُ أن يتزوَّج أولادُها من الرومانيين، وأن ينشأ مِن نسلهم رؤساء للإمبراطورية الرومانية.

وقد راعيتُ في وَضْع هذه الأوبرا – وإن كانت من

طائفة الأوپرات الكبرى – أن تكون متوسطةَ الحجم مجاراةً لحالة المسرح المصري الحاضرة؛ لأنَّ الآمال التي كانت معقودة على تأليف فرقة مصرية كبرى للأوپرا – والتي من أجلها وضعتُ «أردشير Ardasheer» و«الآلهة The Goddesses» على الأخص – لم تتحققْ بعدُ، ولعلِّي قدَّمت بهذه الأوپرا إلى أنصار الشعر المصريِّ وإلى عُشَّاق الأوپرا الراقية إضافة جديدة مقبولةً وقسطًا من الخدمةِ الواجبةِ.

أحمد زكي أبو شادي

الإسكندرية في ٢٨ يوليو سنة ١٩٢٧م

الهوامش

١) قال صاحب «أقرب الموارد» نقلًا عن المصادر العربية، وهي مخالفة للتاريخ المحقق، أو على الأقل لا صلة لها بملكة تدمر كما نعلم عنها الآن والتي هي موضوع قصتنا: الزباء لقب هند بنت الريان الغساني ملكة الجزيرة، كانت تعد من ملوك

الطوائف، وكان يضرب بها المثل في العز والمنعة؛ لأنها كانت متحصنة في مدينتها، فيقال: «هو أعز من الزباء.» وذكر في الكلام عن «الأبلق الفرد» إن هذا الحصن والحصن المسمى «مارد» امتنعا على الزباء فقالت فيهما: «تمرد مارد وعز الأبلق.» فذهب قولها مثلًا!

سيرة الزباء

الأديب القدير الأستاذ/ مُحَمَّد سعيد إبراهيم

سكرتير (رابطة الأدب الجديد)

زنوبيا أو الزَّبَّاء هي ملكة پلميرا أو تدمر، واسمها في عشيرتهاSeptimia Bathzabbai :، وهذه المرأة المشهورة بجمالها وإقدامها وذكائها كانت جديرة بأن تكون قرينة أُذينة "Odainatti" الذي كان يحمل لقب «رئيس المشرق"Dux Orientis" ، وهي قد اشتركت معه بالفعل في سياسة ملكه أثناء حياته، ولم تخلفه في منصبه فقط بعد وفاته (سنة ٢٦٦-٢٦٧ ميلاديًّا) بل إنها عقدت العزم على بسط سلطانها على الدولة الرومانية الشرقية، وكان ابنها هبة الله بن أُذينه لا يزال حينذاك طفلًا، فتسلمت مقاليد الحكم في يدها. وقد غزت (مصر) سنة ٢٧٠م. وفتحتها بقيادة

زَبْدة "Zabda" بدعوى إعادتها لحكم الإمبراطورية الرومانية، وحكم ابنها (هبة الله) مصر في عهد (قلوديوس) على أنه شريك في حكمها وله لقب الملك، وجعلت (الزَّبَّاء) لنفسها لقب الملكة، وقد بسطت نفوذها في آسيا الصغرى إلى مقربة من (بيزنطة) وظلت تدَّعي أنها تصنع ذلك في سبيل (رومة). وقد سُكَّ اسم (هبة الله) على العملة التي ضُربت في الإسكندرية سنة ٢٧٠م مع اسم (أورليان) الإمبراطور الروماني، ولو أن أورليان قد تفرَّد بلقب «العظيم» أو «أوغسطس». وقد وُجدت في بابل نقوش عليها اسم (الزَّبَّاء) و(أورليان) أو سلفه (قلوديوس) مع ألقاب Augusta و.Augustus

ولما آلت الإمبراطورية إلى (أورليان) في سنة ٢٧٠م، أدرك ما في سياسة (الزَّباء) من الخطر على وحدة الإمبراطورية؛ إذْ إن مظاهر المداراة كانت قد

اطرحت من قبل وانكشفت نيات (الزَّبَّاء)، فإن ابنها ضَرب العملة باسمه فقط، وخرج على (رومة). فأرسل (أورليان) حملة إلى (مصر) على رأسها القائد (پروبس Probus) في سنة ٢٧٠م، واستولى عليها. وأعدَّ الإمبراطور في سنة ٢٧١م حملة أخرى على آسيا الصغرى والشام، فدخلت آسيا الصغرى في أواخر سنة ٢٧١م، ودحرت حامياتها التدمرية، ووصلت إلى (أنطاكية) حيث وقفت أمامها (الزَّبَّاء) بجيشها فانهزمت بعد أن لحقتها خسائر فادحة، وتقهقرت إلى ناحية (حمص) التي يبدأ عندها الطريق إلى مقر ملكها، وقد أبت أن تستسلم إلى (أورليان) وجمعت جيشها في (حمص) لتخوض المعركة التي تحدد لها مصيرها. ولكنها انهزمت في النهاية ولم يبق أمامها إلا الفرار في الصحراء نحو (تدمر)، فتابعها (أورليان) بالرغم من وعورة الطريق وحاصر مدينتها المنيعة، وفي

هـذه السـاعة العصـيبة خـذلتها شـجاعتها ففـرت هـي وابنهـــا مـــن المدينـــة لاجئـــة إلى ملـــك (الفـرس)[1] مسـتنجدة بـه، إلَّا أنـه قـبض عليهـا علـى شاطئ الفرات. ولما فقد التدمريون أملهم بهذه النكبة ألقـوا سـلاحهم، فأخـذ (أورليـان) كـل مـا في البلـد مـن الغنائم وأبقى على أهلها، وأمَّن (الزَّبَّاء) على حياتها، إلَّا أنه قتل كل قوادها ومستشاريها ومن بينهم العالم المعروف (لونجينـوس .(Longinus وقـد دخلـت (الـزَّبَّاء) مدينـة (رومة) في موكب الإمبراطور الظافر، وارتضت خذلانها في عـزة نفـس وشمـم، وقضـت أيامهـا الأخـيرة في (تيبـور Tibur) حيـث عاشـت هـي وابنهـا عيشـة سـيدة رومانيـة، ولم تمـض أشـهر قلائـل حـتى ثارت (تـدمر) ثانيـة فعـاد إليهـا (أورليـان) علـى غـير انتظـار ودمَّرها ولم يُبقِ على أهلها هذه المرة...

ومـمـا يُـرْوَى عـن (الـزَّبَّاء) مناقشـاتها مـع كبـير

الأساقفة Paul of Samosata في المسائل الدينية. ويرجَّح أنها كانت تحسن معاملة اليهود في (تدمر)، فقد أشار إلى ذلك (التلمود). ومدينة (تدمر) مقر ملك (الزَّبَّاء) تقع على مسافة ١٥٠ ميلًا إلى الشمال الشرقي من (دمشق)، وكانت الحروب الفارسية "Parthian" سببًا في ظهورها بين ممتلكات (رومة) واعتلائها ذلك المركز الممتاز فيها. كانت الأسرة الساسانية في ذلك الوقت في ذروة بأسها وعظمتها واتجهت مطامعها إلى الممتلكات الرومانية، فلم يكن للتدمريين بدٌّ من أن يختاروا بين (الفرس) و(رومة)، فانحازوا إلى الإمبراطورية الرومانية التي كانت قد حبت أشرافَ (تدمر) ألقابها وعينت بعضًا منهم في مجلس الشيوخ وجعلت واحدًا منهم قنصلًا وهو زوج (الزَّبَّاء) المسمى أذينة"Odainath" ، وكان ذلك في عهد

الإمبراطور فاليريان سنة ٢٥٨م.

وانتهى الصراع بين (رومة) وبلاد (الفرس) باندحار الرومانيين سنة ٢٦٠م، واكتساح الفارسيين آسيا الصغرى وشمال سوريا، وأسر إمبراطورهم (فاليريان Valerian) الذي مات في أسره، فرأى (أذنية) زوج (الزَّبَّاء) بثاقب بصره أن يتودَّد بعد ذلك إلى (شابور) ملك الفرس، وأخذ يرسل إليه الهدايا والكتب الكثيرة فكان يرفضها بازدراء، وكان ذلك سببًا في أن يلقي (أذينة) بنفسه في أحضان (رومة) مدافعًا عن قضيتها، وقد كافأه (جالينس) Gallienus بتعيينه في منصب (رئيس المشرق Dux Orientis) كوكيل للإمبراطورية في الشرق في سنة ٢٦٢م. ومن ذلك الوقت أخذ يعمل لاسترداد ما خسرته (رومة) بعد أن ضم إليه فلول الجيش الروماني، فحارب (شابور) وتغلب عليه وأعاد المملكة الشرقية إلى

(رومـة). وفي أوج انتصـاراته قُتـل هـو وابنـه الأكـبر (هيرودس (Herodes في حمص سنة ٢٦٧م، فآل ملك (تدمر) إلى (الزَّبَّاء) التي كانت تُناصر زوجها في سياسته، وحكمت باسم ابنها الصغير (هبة الله)، وكان لها جيش يبلغ السبعين ألفًا عزمت على فتح مصر به، فـتم لهـا ذلـك في سـنة ٢٧٠-٢٧١م كمـا قـدمنا، فانتهت مطامحها بأسرها على ما بينَّا في سنة ٢٧٣م. أما لغة تدمر فهي اللغة الآرامية، وكان أهلها يعبدون الشمس، ومعبد الشمس لا يزال إلى الآن أكبر الآثار التدمرية.

الهوامش

(١) لا يعرف بالضبط إن كان هذا الملك شابور هرمز.

مَوْضُوعُ المسرحية

كانت (الزَّبَّاء) ملكة (تدمر) آية في الجمال كما كانت آية في الذَّكاء وعُلُوِّ الهمةِ، جريئة طامحة. فبعد أن جلست على كرسي مملكتها بالوصاية على ابنها (هبة الله) إثر وفاة زوجها (أُذينة) ونَظَّمَتْ مُلْكَها، جرَّدت هذه الملكة العربية المصرية الإغريقية الأصل حملةً عظيمةً على مصر برئاسة وليِّ عهدها (هبة الله) وبقيادة پيلنيوس القائد الأعظم لجيشها وهو الذي كان يحارب (تحت إمرة زوجها أُذنية) الملك (شابور) الفارسي لمصلحة (رومة) فتغلب عليه، وإنْ قُتِل (أُذينة) وابنه الأكبر في تلك الحرب التي كان من عاقبتها إعادة المملكة الشرقية الرومانية والتحالف بين (تدمر) وبين (رومة).

جرَّدتْ هذه الملكةُ الطامحة – التي تبدأ بها قصَّتُنا – حملتها على (مصر) اعتمادًا على مهارة قائدها الأعظم (پيلنيوس **Pilinius**) السالف الذكر بمعاونة قائدها

زَبْدَة "Zabda"، وكان الأوَّل مولَّدًا من أبٍ روماني وأم تدمرية، ففتح (مصر) بسهولة نظرًا لمودة الأهالي، وكان يعتقد أنه يعزِّز سلطة (رومة) كما يخدم (تدمر) بهذه الحملة، وقد أفهمتْه الملكة (الزَّبَّاء) ذلك مخادِعة، بينما هي ترمي إلى نشر نفوذها، ولذلك تركت ابنها في (مصر) واستدعت هذا القائد إثر الفتح. وكان يطمح في التزوُّج منها ليكون ملك (تدمر) المتوَّج، كما كان يحبُّها حبًّا مصلحيًّا ويغار من عنايتها بصديقها الناصح الأمين (لونجينوس Longinus). وكانت الملكة تُعْنَى بمباحثة كبير الكهنة (ثاديوس Theddeus) في المسائل العلمية والأدبية؛ لأنها كانت أديبةً تجيد من اللُّغات العربية والآرامية والمصرية، وألَّفت كتابًا عن تاريخ الشرق، وكان كبير الكهنة هذا يغار بدوره من عنايتها بالفيلسوف (لونجينوس)، وكان لكبير الكهنة (ثاديوس) بنت تُدعى (مِرَندا Miranda) وكانت تعشق القائد الأعظم (پيلنيوس) ويشجعها على ذلك والدها بإغضائه أيضًا وبتودُّدِه للقائد هذا، بينما (پيلنيوس) لم يكن يعرف للحبِّ الحقيقي معنى، ولكنه عرف كيف يستغل حبَّ (مِرَندا) له

وكراهية والدها (للونجينوس) الفيلسوف صديق الملكة الحميم. فلمَّا اتضح فيما بعد للإمبراطور الروماني (أُورليان) خطر (الزَّبَّاء) على سلطته وشدة مطامحها – لا سيما بعد أن ضرب ابنها (هبةُ الله) العملةَ المصرية باسمها فقط – بعث بحملة إلى (مصر) وتمكن من دحر جيشها هناك، ثم أردف هذه الحملة بأخرى على آسيا الصغرى والشام بقيادة القائد (مارسيوس Marcius) فهزمت جيوش (الزَّبَّاء) لا سيما في (أنطاكية) و(حمص) واضطرت (الزَّبَّاء) إلى التحصُّن في (تدمر). ويرجع أكبر الفضل في انتصار الرومانيين عليها إلى تجسُّس (مِرَنْدَا) وخذلان قائدها (بيلنيوس) إيَّاها، بعد أن ساومها في ساعة الشدة على الزواج منه فرفضت بشمم، فدعاه إباؤه إلى الانضمام الكلِّي إلى القائد الروماني (مارسيوس Marcius) وتآمر الاثنان على التنكيل بجيشها وسحق ملكها. ولولا انضمام (بيلنيوس) إلى الرومانيين ما استطاعوا اجتياز القفار والاستحكامات المنيعة بعد موقعة (حمص) والتمكن من محاصرة (تدمر). ولولا ثقة الملكة (بمرندا) الطيبة القلب التي خدعها (بيلنيوس) ولولا حبُّ

الأخيرة لهذا القائد الخائن المخادع الذي استغلَّ مركزه لنفعه الشخصي لَمَا آل الأمر إلى محاولة (الزَّبَّاء) وابنها الهرب إلى ملك الفرس للالتجاء إليه دون نجاح في هذه المحاولة، فتُؤْخَذُ عندها (الزَّبَّاء) أسيرة إلى (رومة) وعليها سلاسل الذهب والجواهر، ماشية أمام عربة الإمبراطور (أورليان) في هوانٍ وضِعة فيكاد يُغْمَى عليها، ولكنها تتمالك نفسها وتخاطب (أورليان) في تأثُّر قائلة له: إنَّه إذا كان عاملها هكذا جزاءً لها فإنه لم ينصف، لأنه لولا قائدها (پيلنيوس) وأطماعه ورغبته في الزواج منها وتشجيعه الانفصال من (رومة) لما وقع ما يغضب الإمبراطور، وإذا كان قائدها هذا قد ناصره أخيرًا فليس ذلك حبًّا في (رومة) وإنما بدافع الانتقام الشخصي منها، ومثله لن يكون وفيًّا للإمبراطور بل هو أساس المصائب ومدبر كل خيانة. فيغضب عليه الإمبراطور بعد أن يصفح عنها ويعدها بحياة الكرامة والشرف مع أولادها في مدينة (تيبور). فيُقْبَض على پيلنيوس ويحكم عليه بالإعدام أمام (الزَّبَّاء). وتغدو معزَّزة لدى من كان آسِرَها مسترجِعة منزلتها الملكية، وقد توَّجَها (أورليان)

بإكليلٍ من الغار ووصفها بأنها حقًّا في الأسر آسرة، وفي القهر فاتحة، وفي الذلِّ مليكة! ومن كان هذا معدنها فليس لها إلَّا أن يُجلَّها الإمبراطور وأن تعيش عزيزةً بقية عمرها في ضيافة (رومة) الجديرة بأن تُعَدَّ وطنًا ثانيًا لها.

أشخاص المسرحية

- **الزَّبَّاء:** ملكة تدمر.
- **أورليان:** إمبراطور الرومان.
- **لونجينوس:** الفيلسوف الإسكندري والناصح الأمين للملكة.
- **ثاديوس:** كبير الكهنة لمملكة تدمر.
- **لورنتياس:** الوزير الأعظم لمملكة تدمر.
- **بيبلنيوس:** القائد الأعظم لجيش مملكة تدمر.
- **مِرَنْدا:** ابنة ثاديوس كبير الكهنة.
- **هبة الله:** وليُّ عهد الزَّبَّاء وابنها. (أشير إليه ولم يظهر في التمثيل.)
- **مارسيوس:** قائد الجيش الروماني. (أشير إليه ولم يظهر في التمثيل.)
- **حاشية – جند – جواري – راقصات – جمهور.**

نَسَقُ التَّمثِيلِ

الفصل الأول

يمثِّل هذا الفصل في مَشْهَدِهِ الشُّرْفَة الكبرى للقصر الملكي بمدينة (تدمر) وقد جلست (الزَّبَّاء) على مسمع مِنْ مرور بعض الجند العائدين من (مصر)، بعد أن أتمَّتْ فَتْحَها بدون مقاومةٍ بجيْشها العظيم الذي بلغ سبعين ألفًا، وحولها معظم وزرائها وحاشيتها. ويبدأ الفصل بنشيد الجند الفاتحين، ثم يحدثها مهنئًا صديقها الفيلسوف الإسكندري (لونجينوس) فيذكِّرها بأن الشعب المصريَّ ذاته رحَّب بجيشها نظرًا للمودة التي بين المصريين والتدمريين، وهي حبيبةٌ إليهم؛ لأنها قريبة (كليوبطرة). ثم يجيء الوزير الأعظم (لورنتياس) مبلغًا إياها إجلال الجيش ومحبته وفرحه بالنصر ويستأذن في مثول القائد الأعظم (پيلنيوس) بين يديها، ويجيء هذا فتضع الملكة إكليل الغار المنمَّق بالغسول على رأسه، ثم تدعوه لأخذ مجلس الشرف بجانب وزيرها الأعظم، ويتبادلون التهاني والتقدير ثم

تطلب الملكة من (مِرَنْدَا) – ابنة كبير الكهنة (ثاديوس) والتي كانت معروفة بأنها تشاطر (پيلنيوس) الحُبَّ – بأن تقدِّم إلى القائد الأعظم (پيلنيوس) رمزًا آخر للفخر والمجد هديتها الملكية: وهي سيفٌ مُرَصعٌ بالجواهر، فتقدِّمه (مِرَنْدَا) إلى القائد الأعظم الذي يركع احترامًا لتناوله، ثم يقبِّله ويفيض بنشيد الشكر إلى الملكة، وتحيِّيها الحاشيةُ جميعها أجملَ تحيةٍ في فرحٍ عظيم، ثم يحين دورُ حامل العَلَم فتكرِّمه الملكة وجميعُ مَنْ معها. وهكذا يمثِّل هذا الفصل الأول استقبالًا فخمًا، وعَرْضًا للفتح، وتقديرًا للجيش المنتصر، وترديدًا لأماني (تدمر).

الفصل الثاني

يمثل هذا الفصل بمنظره الفخم «مَعْبَد الشمس» بمدينة (تدمر) وقد مرَّ عَهْدٌ طويلٌ على وقوع حوادث الفصل الأول، وأخذ الرومانيون يحاربون التدمريين بعد أن خافوا من امتداد نفوذهم وأوشكوا أن يشتبكوا معهم في معركةٍ خطيرةٍ حول (أنطاكية). ويبدأ الفصلُ بصلاة كبرى في المعبد استنجادًا على الأعداء، وقد حضرت الملكة وكبار حاشيتها

وسراة المدينة وذوو الحيثيات المختلفة فيها نساءً ورجالًا. وبعد انتهاء الصلاة تعلن الملكة رغبتها في أن تكون بخلوة مع رجال عرشها للمشورة، فيخرج الحاضرون ما عدا كبير الكهنة والوزير الأعظم والقائد الأعظم والفيلسوف لونجينوس، فتسأل الملكة قائدها الأعظم عما اعتزم أن يفعله إزاء هُجُوم الرومانيين الخطر، فيُجيبها مبالغًا في تقدير الخطر مشيرًا إلى أسر وليِّ العهد، ولكنه يعدها ببذل كلِّ قواه لصيانة المملكة ما دامت تمنحه رضاءها، ثم يلمِّح إلى طمعه في أن يشاركها العرشَ وأن يغدو زوجها وملك (تدمر) ... ولكنها تتجاهل هذا التلميح وتدعوه إلى الالتحاق بالجيش فورًا واستئناف الإشراف على هذا القتال، فيخرج مودِّعًا. ويُخْطِئُ الفيلسوف (لونجينوس) في تصوُّره أنَّ القائد الأعظم (پيلنيوس) مخلصٌ أمينٌ، فيقترح أن يُعْطَى يد (مِرَندا) بعد عودته ظافرًا، حاسبًا أنه يسرُّ والدها كبير الكهنة (ثاديوس) بهذا الرأي ... ولكن ثاديوس يقاطعه غاضبًا ويرفض هذه المشورة، ثم يفضي بخشيته من (پيلنيوس) وأطماعه، ولكن الملكة في شجاعةٍ وشَمَمٍ تعلن أنَّ

عرشها لشعبها، وأن نفسها ملك نفسها، ويخفف الوزير الأعظم من روعهم، ويتعاهد الجميع على نصرة الوطن.

الفصل الثالث

يمثل المنظر الأول لهذا الفصل «حصن تدمر» قُبَيْل الغروب في مشهدٍ رائع والشمس باعثة بأشعتها الأرجوانية بين صفوف النخيل على الرمال الذهبية والحجارة التاريخية العتيقة، ويبدو رجال الحامية في مواضع متفرقة ومعهم سيوفهم وسهامهم ودروعهم، وتبدو المنجنيقات في مواضع مختلفة من الحصن، وقد زارته (الزَّبَّاء) على موعد من القائد الأعظم الذي جاء من ميدان القتال بحجة تقوية الدفاع، ولكنه جاء في الواقع ليساوم (الزَّبَّاء) على الزواج منه حتى يصبح ملك (تدمر) وذلك ثمنًا لإنقاذه المملكة من خطر الرومانيين الزاحفين على (تدمر) بعد أن هزموا التدمريين أخيرًا في موقعة (حمص) وأخذوا يجتازون القفار والاستحكامات إلى العاصمة. فتعنِّف الملكة (پيلنيوس) وتذكره بفضل رعايتها وتعتبر مساومته إيَّاها في ساعة الشدة

إهانة لها بل خيانة لعرشها، فيحاول تبريرَ موقفه والدفاع عن نفسه وذكر مآثره على المملكة، ولكن هذا الدفاع يزيدها مقتًا له وغضبًا عليه، فتطلب منه أن يتركها على أي حال وتُعْلنهُ بأنه إذا خانها فستقود بنفسها الجيش، ولن تلقي السلاح حتى تحرر وطنها من غارة المغيرين ... فيتركها قائدها محتجًّا. ثم تدعو الحامية وتخاطبهم بحماسةٍ وطنيةٍ، فيقسمون بالإخلاص لها والتفاني في الدفاع عن (تدمر)!

ويمثل المنظر الثاني من هذا الفصل مَشهدًا ريفيًّا وشاطئ نهر (الفرات) في خلف المسرح وأشعة القمر مرْسَلة ما بين النخيل وتألُّق النجوم واضحًا في السماء، ويقع هذا المنظر بعد المنظر الأول بأسابيع قليلة، وقد تمكَّن الرومانيون بقيادة قائدهم (مارسيوس) وبفضل خيانة (پيلنيوس) من اجتياز القفار والاستحكامات المنيعة – بعد موقعة (حمص) – ومن محاصرة (تدمر)، ولكن بعد أن هرب وليُّ العهد (هبة الله) من الأسر والتحق بجيش العاصمة. وفي هذا المنظر تُمثل محاولةُ (الزَّبَّاء) الهرب مع وليِّ عهدها، حيث

آنستْ من الجيش الروماني المحاصَر غفلةً في إحدى الليالي فهربت ومعها طائفة من خاصتها على خيولهم ومعهم بعض الجند لتدبير الفرار لها ولولي العهد، قاصدة ملك الفرس للالتجاء إليه والاستنجاد به على أعدائها بعد أن كادت المدينة تسقط في أيدي الرومانيين. وفي أول المَنْظَر تبدو الملكة تحت ظلال النخيل في جانب من المسرح ومعها مِنْ حاشيتها كبير الكهنة (ثاديوس) والوزير الأعظم (لورنتياس) والفيلسوف (لونجينوس) و(مرندا) ابنة (ثاديوس) وقد آثروا جميعًا صحبتها وتوديعها رغم مخاطر الطريق ضمانة لسلامتها. فيتبادلون جميعًا العزاء والتشجيع والتأميل والتأسِّي والسخط على (پيلنيوس) الخائن، ثم التعاهد على التفاني في الدفاع حتى تصل نجدة الفرس المرجوَّة. وكان وليُّ العهد ومَنْ معه من الجند قد توجهوا إلى النهر لإعداد القاربين اللازمين للرحلة، ولكنه لا يعود ولا يبعث برسول إليها، ويطول انتظارها فتقلق، وبينما الوزير الأعظم يهدئ من روعها وهي تودِّع مَنْ معها إذ تفاجئهم عساكرُ الرومان فيُؤسَرون، وتلمح (الزَّبَّاء) قائدها الخائن (پيلنيوس) على

رأس آسريها فتغضب مشمئزةً، وترمي نعلَها في وجهه صائحة: «أهذا أنت يا خائن؟!» ... فتُسْدَل الستار العامة فورًا.

الفصل الرابع

يمثِّل هذا الفصل مَشْهَد جانبٍ من ساحة القصر الكبرى بمدينة (رومة) شائقةً بعُمُدِها وبناياتها الرائعة، وقد ازدحم أعيان الشعب في المكان المُعَدِّ لاستقبال الإمبراطور (أورليان) في عربته ماشيةً أمامها الملكة الأسيرة.

يتبادل الشَّعبُ والأشرافُ والجندُ هتافَ الفرح، ويبدو ركبُ الإمبراطور وفي مقدِّمته طائفة من الجند ثم القوَّاد وعلى رؤوسهم الغار وبينهم قائد تدمر الخائن (پيلينوس)، ثم الملكة (الزَّبَّاء) أسيرة، وعليها سلاسل الذهب والجواهر ماشيةً أمام عربة الإمبراطور وبجوارها حارسان يسندانها حيث يكادُ يغْمى عليها من التأثُّر بالهوان، ثم عربة الإمبراطور يجرُّها الجند ويحيطون بها، وتقف العربة بعد الظهور على المسرح. يبدي الإمبراطور إشارة التحية فيحيِّيه الجميع بإجلال،

ويخاطب أشراف رومة مُشيدًا بفضل الجيش، ويتلقى باقات الزهر من الشعب تقدِّمها له نخبة حِسان الرُّمانيات.

ويخاطب الإمبراطور (الزَّبَّاء) مُعيرًا مُذكِّرًا بسفاهتها التي جَنَتْ عليها، فتردُّ عليه (الزَّبَّاء) بشَمَمٍ مخطِّئة رأيَه مُظْهِرةً أنَّ أصلَ الحروبِ والمتاعبِ قائدُها الخائن (پيلينوس)، الذي كان طامعًا في الزواج منها، فلمَّا رفضته عمل على الانتقام منها، وما انضمَّ إلى (رومة) محبَّةً فيها وإنما خيانة (لتدمر)، وهكذا تستثير الإمبراطور فيغضب على (پيلينوس) ويعتبره أصلَ العداء بين (رومة) و(تدمر) والمسئول عن ضياع الأرواح وخراب ما خُرِّب من بلاد وما أتلف من زرع، فيحكم عليه بالموت ويصفح عن (الزَّبَّاء) وينزلها ثانيًا منزلة المودة والإكرام والسيادة هي وأولادها في ضيافة مُلْكِهِ.

وهكذا تنتصر (الزَّبَّاء) في أقسى ساعات الهزيمة وتبرُّ بقسمها – قسم الانتقام والتمسك بالشرف والكرامة – إلى أبناء وطنها.

الفصل الأول

(مشهد الشرفة الكبرى للقصر الملكي في مدينة تدمر وقد جلست الزباء على مسمع من مرور بعض الجند العائدين من مصر، بعد أن أتمت فتحها بدون مقاومة بجيشها العظيم الذي بلغ سبعين ألفًا، وحولها معظم وزرائها وحاشيتها. ويبدأ الفصل بنشيد الجند الفاتحين، ويراعى تمثيل العمد الضخمة الكثيرة واتساع الشرفة، بينما الجند لا يظهرون، وإن سُمع صوت مشيهم ونشيدهم في أقصى خلف المسرح.)

الجند (ينشدون في مشيهم العسكري):

احْكُمـــــــي! احْكُمـــــــي! والبْثـــــــي فاتحـــــــةْ

واغْنمـــــــي واسْـــــــلمي للمُـــــــنَى الصـــــــادحةْ

للعُلَى والحضارَهْ

للهُدَى يا مَنَارَه!

وانْهَضـــــي بالشُّـــــعُوبْ يا مَـــــلَاذَ الـــــدُّوَلْ

فالشَّـــــقاءُ يَـــــذوبْ إنْ بـــــذلتِ الأَمَـــــلْ!

للجنودِ البواسلْ

للكماةِ الأماثلْ!

وقـــد ظفـــرنا (بمصـــر) مثلمـــا قـــد أردْتِ

فَخْـــرُنا أيُّ فَخْـــرِ طالمـــا قـــد وَدَدْتِ

فانظُري باسمهْ

والبثي حاكِمهْ!

الزبَّاء (ملكة تدمر):

يا وزيـري الأجـلَّ بلِّـغْ جُنُـودي كُلَّ شكري مِنْ صَفْوِ قَلْبٍ وَدُودِ

إنَّ فَخْـري بهـمْ عظـيمٌ، ولكـنْ هُـوَ في الحـقِّ بَعْـضُ فَخْـرِ الجُـدُودِ

وادْعُ لي القائـدَ الجليـلَ ليحظَـى بِمُثُـولِ المُبَجَّـلِ المحْسُـودِ

لورنتياس(الوزير الأعظم):

إنَّ هـذا ليَـوْمُ عيـدٍ وأُنْـسِ فـاقْبَلي التَّهنـآتِ مـن كـلِّ نَفْـسِ

(ينحني احترامًا ويخرج.)

حاشية الملكة:

يا لَنَصْـــرٍ حُزْتِـــهِ في جـــــلَالْ في وَفَـــــــاءْ

في كَرَامَـــــــهْ!

إنَّ شَـــعْبًا سُسْـــتِهِ لـــن يُـــذَالْ أو يُسَـــــــاءْ

في زَعَامَـــــــهْ!

طالمـــا أرْشَـــدْتِهِ المُحـــــــالْ للعَـــــــلَاءْ

للإمامَـــــــهْ!

لونجينوس (الفيلسوف الإسكندري)

مـــا فَتَحْـــتِ (مِصْـــرَ) فَتْحًـــا كَعَـــــدُوٍّ أو خصـــــيمْ

بـــل جعلـــتِ الفـــتْحَ مَنْحًـــا مِـــنْ نَـــدَى شَـــعْبٍ كـــريمْ

لِمُنى شَعْبٍ كريمْ

فيـــكِ ذِكْـــرَى (كيلُبَطْـــرَهْ) في جَـــــلَالٍ وقرَابَـــــهْ

فـــامْنَحي (للنيـــل) قَطْـــرَه مِـــنْ رضًـــى تُفْـــنِي اكتئابَـــهْ

واقْبَلي الحُبَّ الصَّميمْ

الملكة:

خَيْـــرُ شُـــكْرٍ يا صـــديقي نُصْـــحُكَ الـــوافي ثمـــينْ

أهـــلُ (مِصْـــرَ) مِثـــلُ قـــومي ولهـــم حُـــبِّي الأمـــينْ

ولهم شكري العظيمْ!

(يدخل الوزير الأعظم ويحيي الملكة.)

الوزير الأعظم:

الجَـــيْشُ في فَـــرَحٍ عظيـــ ـــمٍ بابتهاجِـــكِ يا مليكَـــهْ

والقائـــدُ البَطَـــلُ المُجيـــ ـــزُ لـــكِ الخُضُـــوعَ بـــلا شـــريكهْ

يُهْـــدِي إليـــكِ تجلَّـــةً حـــتى يُشَـــرَّفَ بالمُثُـــولْ

وينـــالَ إكلـــيلًا مـــن الـــ ـــغارِ المُنَمَّـــقِ بالغَسُـــولْ[1]

وينـــالَ نَظْرَتـــكِ السَّعيـــ ـــدَةَ والكفيلَـــةَ بالسَّـــعَادَه

فَينـــالَ مِـــنْ شَـــرَفِ الرعـــا يـــةِ فـــوقَ إجـــلالِ القيـــادَهْ

(يقعد في مجلسه بعد إبداء الاحترام للملكة.)

الملكة:

مَرْحبـــــــا! ومَرْحَبـــــــا! ولْيَـــــــزِدْنَا طَـــــــرَبا!

قائـــــــــدٌ بحذْقِـــــــــهِ نال فَتْحًـــــــا عَجبَـــــــا

قـــــد حَبَـــــانَا للعُلـــــى ســـــــبَبًا وسَـــــــبَبَا

الحاشية (مرددة)

قـــــد حَبَـــــانَا للعُلـــــى ســـــــبَبًا وسَـــــــبَبَا

(يدخل القائد الأعظم لجيش الملكة فيقبل طيلسانها في خضوع ثم ينشد.)

بيلنيوس(القائد الأعظم)

لكِ الجلالُ وفَضْلُ الفَتْحِ مولاتي!

(تضع الملكة إكليل الغار المنمق بالغسول على رأسه ثم

تدعوه لأخذ مجلس الشرف بجانب وزيرها الأعظم.)

الملكة:

خُــذْ مجلــسَ الشَّــرَفِ العَلــي ... فقــدْ سَمَــوْتَ بمجــدِ (تَــدْمُرْ)

(يجلس القائد شاكرًا.)

القائد الأعظم:

عَفْــوًا! فَوَحْيُــكِ كــان يَهــدِينَا الطريــقَ إلى الفَخَــارِ

ومِــن التَّفــاني في الــولا ... ء إليــكِ أُلْهِمْــتُ انتصــاري

و(لمصــر) فضْــلُ العَطْــفِ عَطــ ... ــفِ الأهــل قَبْــلَ شُــعورِ جــارِ

فاسْــتَقْبَلْتَنَا في وَفَــا ... ء وافــترارٍ وافتخــارِ

الحاشية:

أَشْــرِقي يا طلعــةَ الشــمس البهيَّــهْ ... إنمــا تُحبــين آمــالَ البريَّــهْ

كلُّ ما أَلْهَمْتِ منْ نَصْرٍ عظيمْ

كلُّ ما أَنْعَشْتِ مِنْ حُبٍّ مُقيمِ

إنما الدُّنْيَا مُحَيَّاكِ الوسيمْ

فـاهْنئي بالنَّصْـرِ يا نُـورَ الرَّعيَّـهْ واقْبَلـي منَّـا التحيَّـاتِ العَليَّـه!

الملكة:

يا قائـدَ الجـيشِ الرفيـعِ السَّـنا قـد أُنْصِـفَ الجـيشُ فقَـرَّ السَّـلَامْ

هنَّأتُـــــكَ الآنَ ولكنَّمـــــا هُنِّئْـتَ مِـنْ قَبْلِـي بلَمْـع الحُسَـامْ

مَـنْ حَـازَ مـا حُـزْتَ فقـد فاتَـهُ الهِمَّـةُ الكُبْـرَى فكُنْـتَ الهمـامْ

يا بانِيَ التـــــاريخِ في مُلْكِنَـــــا قـد نِلْـتَ في الأمَّـةِ أسْمَـى مَقَـامْ!

القائد الأعظم:

عَفْـــوًا فحُكْمُـــك في النُّهـــى يَبْقَـــى كمـــا يَبْقَـــى البَهَـــا

مـــا كُنْـــتُ إلا عَبْـــدَك الـــ ـــوافي ولـــو بلـــغ السُّـــهَى

وقـــد ابتـــدا بأبيـــكِ فخـــ ـــري فاتحًـــا وبـــكِ انتَهَـــى

فمُـــرِي فحَسْـــبِي خِدْمـــةٌ لـــكِ دائمًـــا أحيـــا لهَـــا

فـــأعيشُ مَحْسُـــودًا لهـــا وأدومُ مفتـــــونًا بِهَـــــا!

الملكة:

قَـدِّمي السَّـيْفَ حَاليًـا يا (مِرَنْـدَا) رَمْـزَ مَجْـدٍ لِمـنْ حَبَـا المُلْـكَ مَجْـدَا

إنْ تَزِنْـهُ الحُلـيُّ فـالفَخْرُ مِـنْ شَعـْـ ـبي ومـنِّي بـه سـنِيًّا تَبَـدَّى

وجَمَـالٌ لـديكِ يُكسِـبُهُ حُسـْـ ـنًا جديدًا، ويُكسِبُ الحسنَ حَمْدَا

ويَـدَاكِ اللَّتَـانِ أوْلى بتَقْبيـ ـلٍ تبثَّـانِ قُبْلَـةَ الشـكرِ رَدَّا

هكـذا تُشْـكَرُ الشَّـجَاعَةُ والإخـ ـلَاصُ للمـوطنِ العزيـزِ المُفَـدَّى!

(تنهض مرندا حاملة السيف المرصع بالجواهر بكلتا يديها لتقدمه إلى القائد الأعظم الذي يركع احترامًا لتناوله.)

مِرَنْدَا (ابنة كبير الكهنة)

رَبَّـةَ التَـاجِ إنَّ أمْـرَكِ تَشـْـ ـرِيفي وكُلِّي ما عِشْتُ طَوْعٌ لأمْرِكْ

وأنا الآنَ في سُـرُورٍ وفخْـرٍ أهِبُ السيفَ مُعْلِنًا صِدْقَ فَخْرِكْ

فتقبَّـلْ يا سـيِّدَ الجُنْـدِ إعجـا بًا مـن العـرشِ والرَّعـايا بقَـدْرِكْ

وخُـذ السـيفَ ظـافرًا شـارةَ الذِّكـ ـرَى لنصـر، ولْيبـقَ مـرآة نَصْـرِكْ!

(يتناول القائد الأعظم السيف ويقبله، ثم ينشد هذا الشعر التالي قبل الجلوس وتعود مرندا إلى مجلسها.)

القائد الأعظم:

بُورِكْـــــــتِ يا مَـــــــوْلاتي وبَقيـــــتِ نُـــــورَ حَيَـــــاتي

ضَـــاعَفْتِ نَصْـــري هكـــذا برِضـــــــاكِ يا مـــــــولاتي!

(تدخل ثلاث جوار حسان في ثياب راقصات من كل من جانبي المرقص ويرقصن نحو خمس دقائق على نغم النشيد الآتي الذي تنشده الحاشية.)

الحاشية:

أسْـــعَدْتِنا فـــدعي قلْـــبي خـــالي الـــذنبِ يُبْـــدِي نجْـــوَاهْ

وزِدْتِنَـــا بعـــدَ الحـــربِ بأسًـــا يَسْـــبي مَـــنْ لا يخشـــاهْ

فلـــــــكِ الحمـــــــدُ ولـــــــكِ الحُـــــــبُّ!

المُلْـــكُ بالـــرَّأيِ السَّـــامي ثم الأجْنَـــــــــــــــادْ

فَتَحْتِ مِنْ قبل حُسَامِ بحجًى وَقَّادْ

كَوَّنتِ شَعْبًا يَهْوَاكِ لَنْ ينساكِ

يَرْعَاكِ حُبٌّ رَعَايَاكِ لو أرضاكِ

يا زينةَ العَرْشِ الزَّاهي يا شبه مَلَاكْ

ذِكْراكِ رَاحُ الأفواهِ ومُنَى الأفلاكْ

عِيشي لنا دَهْرًا حُرًّا عَيْشَ الإحْسَانْ

واسْتَقْبِلِي منَّا شُكْرًا مِلْءَ الوِجْدَان

وَسَامحي تكرارَ هَوَى يحلو ويطيبْ

مِنْ كلِّ قلبٍ عَرْفُ مُنَى وَوَفاء حَبيبْ

أسْعدْتِنا فَدَعي قلبي خالي الذنبِ يُبْدِي نَجْوَاهْ

وَزِدْتِنَا بَعْدَ الحَرْبِ بأسًا يَسْبي مَنْ لا يخشاهْ

فلكِ الحمدُ ولكِ الحُبُّ!

(تخرج الراقصات من المسرح بانتظام كما دخلن وهن يرقصن الرقصة الأخيرة.)

ثاديوس (رئيس الكهنة مخاطبًا الملكة)

أستمدُّ الثناءَ للعرشِ منكِ حليةُ التاجِ وَحْيُ نفسِكِ تلكِ

أنتِ إلهامُ خاطري وعِبَادَا تي إلى (الشمس) ثم نجوايَ عنكِ

سأُقيمُ الصلاةَ في المَعبَدِ الضَّا حي، فعيشي مَنَارَ دينٍ ومُلكِ

أنتِ أهلٌ للشُّكر في منزِلِ الـ ـدِّين، فقد دُمْتِ مِثْلَهُ فوقَ شكِّ!

لونجينوس (الفيلسوف الإسكندري):

بعد هذا الفتْحِ مِنْ حَقِّ العَلَمْ أن يُحَيَّا منكِ محسودَ الجَلَالْ

فانظري للجيشِ يا شمسَ العُيُونْ

نظرةً تَجزيه كالكنزِ المَصُون

نظرةً تُعْطِيه ما تُعْطي الفُنونْ

مِنْ خُلُودٍ بعد أنْ لاقَى المَنُونْ

بتفانٍ في قِتَالٍ وشَمَمْ أو تفانٍ في اكتسابٍ للرجالْ

فاغتَدَتْ (مِصْرُ) لنا كَالجوْهَرَهْ

والتقينا والأماني النَّيِّرَهْ

واعْتَلَيْنَا للمعالي لا الشَّرَهْ

وغَدَوْنَا أُمةً مُنْتَصِرَهْ

تنظُـــرُ الـــدُّنيا إليهـــا والأمَـــمْ نظـرَةَ الإعجـابِ حَقًّـا بالفعـالْ!

الملكة:

فليجـــــــــــــــئ إذَنْ حامـــــــــــلُ العَلَـــــــــمْ

إنَّ رمْـــــــــــــــزَهُ ســـــــــيِّدُ القَسَـــــــــمْ

وَحيُـــــــــــهُ لنـــــــــا طالمـــــــــا ابتَسَـــــــــمْ

وهـــــــــو دائمًـــــــــا بالعُلَـــــــــى اتَّسَـــــــــمْ

الحاشية(مرددة)

فليجـــــــــــــــئ إذَنْ حامـــــــــــلُ العَلَـــــــــمْ

(يدخل حامل علم الدولة وقد رفعه قريبًا من الملكة، فتقف الملكة إجلالًا له وكذلك جميع الجالسين من

حاشيتها.)

حامل العلم (راكعًا على ركبته اليمنى وماسكًا العلم)

وديعتي الشَّرَفُ المسْتَوْدِعُ العَلَمَا ذِكْرًا يدوم، وتشجيعًا لمَنْ عَلِمَا

وديعتي مَثَّلتْ عَرْشًا وَرَبَّتهُ وأُمَّةً أدهشتْ في فتحها الأُمَمَا

فاستقبليهِ وَفيًّا عادَ مُبْتَسِمًا بالنَّصْرِ حُرًّا كما قد راحَ مبتسمَا

الملكة:

هكذا هكذا تُصَانُ الأمَانَهْ يخدمُ الجُنْدُ هكذا أوطَانَهْ!

القائد الأعظم:

باسمِ جَيْشِ المليكةِ الشُّكرَ أُهديـ ـهِ قرينًا لمُستَحَبِّ الخُضُوعِ

كلُّنَا في الوَغَى يمثِّلُ أعلَا مًا تناجيكِ دائمًا في خُشُوعِ!

كلُّنا كانَ حامِلَ الشَّرَفِ العا لي بذكراكِ والمُنَى والرُّبُوعِ

فاملكي فَخْرَ عسكَرٍ (تدمريٍّ) مستعِزٍّ بحبكِ المطبوعِ

(تقبِّل الملكة العلم ثم تجلس فيجلس من قام معها من

الحاشية، بينما يرتل تبعها النشيد الآتي وتدخل الراقصات على النظام السابق من جانبي المسرح متابعات النشيد يرقصن نحو خمس دقائق.)

الحاشية:

الحُسْـــنُ في الـــدُّنيا سُـــلْطَانْ والعَقْـــــلُ سُـــــلْطانٌ ثانِ

وأنْـــتِ يا زَيْـــنَ التِّيجَـــانْ لـــديكِ عُـــزِّز الاثنـــانِ

عقلٌ وحُسْنٌ رُوحاني!

النَّـــاسُ قـــد وُلِـــدُوا أحْـــرَارْ فِـــيمَ الخُضُـــوعُ لحُكـــمِ مُلـــوكْ

أمَّـــا احتكامُـــكِ فهـــو فَخَـــارْ فَخْـــرُ العدالـــةِ دونَ شُـــكوكْ

نورٌ وإصلاحٌ بانِ!

فاســـــتقبلي منَّـــــا حُبًّـــــا والحُـــــبُّ دُرَّةُ كـــــلِّ حَبيـــــبْ

في الجِســـــم يُودِعُهـــــا قَلْبًـــــا في النشـــر مثـــلَ العَـــرْفِ تطيـــبْ

رُوحًا ولذَّةَ وِجْدَانِ!

عِيشـــي و(تَـــدْمُرَ) في تكـــريمْ عَـــــيْشَ العُلَـــــى والحُرِيَّـــــهْ

وأحْيـــي مَفـــاَخِرَ كـــلِّ عظـــيمْ وابْـــــني صُـــــرُوحَ المَدَنِيَّـــــهْ

وابني رجاءَ الإنسان!

وســـــامحي طَـــــرَبًا جَمـــــا في حَضْـــرة الحُســـنِ الفتَّـــان

فـــــالزَّهْرُ يُسْـــــكرُنَا شَمـــــا حِينًـــــا ويَفْتنُنَـــــا أحْيَـــــانْ

وما عُرِفْتِ بحِرْمَانِ!

(تسدل الستارة العامة في ختام النشيد.)

الهوامش

(١)الغسول: زهر بنفسجي وقرمزي جميل لعشب كثير الانتشار. والغار: الشجر المعروف، واحدته غارة.

الفصل الثاني

(يمثل هذا المنظر الفخم «معبد الشمس» وقد مر عهد طويل على وقوع حوادث الفصل الأول وأخذ الرومانيون يحاربون التدمريين بعد أن خافوا من امتداد نفوذهم وأوشكوا أن يشتبكوا معهم في معركة خطيرة حول أنطاكية. وهذا المشهد لصلاة كبرى في «معبد الشمس» استنجادًا على الأعداء، وقد حضرت الملكة وكبار حاشيتها وسراة المدينة وذوو الحيثيات المختلفة فيها نساء ورجالًا. وهذا المعبد أو الهيكل جامع لأروع النقوش الرمزية الدينية لعبادة الشمس، وقد وقف كبير الكهنة أمام المذبح وحوله أتباعه والمرتلات والمرتلون، وجلست الملكة وكبير وزرائها والفيلسوف لونجينوس وقائدها الأعظم، وجلس أعيان المملكة على الجانبين في صفين متقابلين، ويراعى إظهار رسم كبير مُذَهَّب للشمس على صدر الحائط الخلفي نافذة منه الأشعة الأرجوانية كما يوضع موقد للبخور مضاء بالنور

الأحمر بالقرب من المذبح.)

المرتلون والمرتلات :

(الشَّـــــمْسُ) حَيَـــــاةُ الأَيَّامِ وحَيـــاةُ النَّـــاسِ وإنْ ضَـــلُّوا

ومَـــــلَاذُ عزيـــــزِ الأَحْـــــلَامِ للخَلْـــقِ، يـــدينُ لهـــا (العَقْـــلُ)

ما (الكونُ) إذا (الشمسُ) انقرَضتْ لا شـــيءَ، وحاشَـــا أنْ تَفْـــنَى

خَلَقَـتْ (دُنيَـا) وَحَبـتْ (أُخْـرى) وكَفَـتْ حُسـنًا وَزَهَـتْ حُسْـنَا

في الصـــفوِ نناجيهـــا أَمَـــلًا في الهَـــمِّ نناشِـــدُها العَـــوْنَا

نسْـــتوْحي الحكمـــةَ والعَمـــلَا منهـــا، ونَـــرُدُّ لهـــا الـــدَّيْنَا

كبير الكهنة (دعاء) :

امْنَحـــي النُّـــورَ والهِدَايـــةَ حـــتى نُبْصِـر الحَـقَّ والصَّـوَابَ الحكيمـا

ربَّـةَ الكَـوْنِ أنـتِ أيَّتُهـا (الشَّمـْ ـسُ) فأعْطي النفوسَ خيرًا عميمًا

وانشـري السـلم فـالحُرُوبُ وبالٌ تنشـرُ العسـفَ والخـرابَ الجَسيمَا

أنـتِ نـورُ الأنـوارِ، أنـتِ هُـدَى الـ إصلاحِ، نـدْعوكِ أن تـردِّي الأثيما

وانْصُري شَعْبَكِ الذي عاشَ بالإخـ ـلاصِ، لا تتركيـه يَشْـقَى غريمَـا

المرتلات والمرتلون وجميع الحاضرين (صلاة عامة في ركوع وخشوع):

يا إلَـــهَ الضِّـــياءْ يا إلَـــهَ الحيـــاهْ يا شُـــعَاعَ الخلـــودْ

أَلهِمينـــا الرَّجـــاءْ أَلهمينـــا النَّجـــاهْ مِـــنْ عَـــدُوٍّ لـــدُودْ

منـــكِ ســـرُّ البقـــاءْ للحُمـــاةِ الكمـــاءْ يا حيـــاةَ الجُنـــودْ

عنـــدكِ الالتجـــاءْ أنـتِ أنـتِ الإلـهْ الـــرحيمُ الـــوَدُودْ

كبير الكهنة :

بُورِكَـــتْ هـــذه الصـــلاةُ وبُورِكـــْ ـــتُمْ بخـــيرٍ بـــرَغمِ كـــلِّ عَـــدُو

قُـــوَّةُ الشَّـــعْبِ في اليقـين وليســتْ قُـــوَّةُ الشـعبِ مِـنْ ضَـلَال العُتُـوِّ

نحْنُ شَعْبُ الشبابِ ما شَاخَ كالخصـْ ـــم، ولكنَّـــهُ قَـــرينُ النُّمُـــو

يترَامَـــى فنرْتَقِـــي نحـــنُ بالرَّغـــ ـــمِ ونبقَـــى حياتَنَـــا في سُمُـــوِّ!

(تنهض الملكة وينهض الجميع إثرها.)

الملكة :

الآنَ أَرْجُـــــــو خَلْـــــــوَةً برجـــالِ عَرْشـــي للمَشُـــورَهْ

(يخرج جميع الحاضرين بعد إبداء الاحترام للملكة، ويبقى معها كبير الكهنة والوزير الأعظم والقائد الأعظم والفيلسوف لونجينوس، وينشد الآخرون أثناء الخروج بانتظام النشيد الآتي.)

الخارجات والخارجون من المعبد :

جَـلَّ هـذا الـدُّعَاءْ والصَّـلَاةُ الوَفِيَّـهْ للإلـــه المُنِـــيرْ مُســـــــــتعزًّا

إنمـــا الاحتمـــاءْ للنُّفـوسِ الأبيَّـهْ في عُـلَاهُ الكبيرْ دام حِـــــــرْزًا

للنُّفُوسِ الأبيَّهْ

نَفْتَـدِي بالحيـاهْ (تَـدْمُرَ) الغاليـهْ نَفْتَـدِي بالحيـاهْ في تَفـــــــانِ

لَـنْ نُـذِلَّ الجِبـاهْ للقُــوَى العاتيــهْ لَـنْ نُـذِلَّ الجِباهْ طَــوْعَ جــانِ

للقُوَى العاتيَهْ!

الملكة (جالسة وقد وقف تجاهها في احترام من بقي معها) :

بَعْـدَ الـذي حَـدَّثتني فيمـا مضـى ما الرَّأيُ (پيلنيوس)؟[1] ماذا يُرْتَجَى؟

مـا دام (مارِسْـيُوسُ)[2] يَبغـي هَـدْمنا والجُنـدُ مُرْتَـدٌّ فعُقبـانا الـدُّجَى؟

مـا قُـوَّةُ (الرُّومـانِ) لَهْـوًا ... إنهـا وَيلٌ ... فهل أَعْدَدتَ منها مَخْرَجَا

هــذا أوانٌ للشــجاعةِ كلِّهــا والعزمِ والجهدِ المُضَاعَفِ والحجَى

إن فاتَ رأيُكَ أو جهادُكَ لم نجدْ رأيًا ولا جُهــدًا مُغيثًــا مُنتِجَــا!

بيلنيوس (القائد الأعظم) :

هــذا وَلِيُّ العَهــد مــأ سُــورٌ وقــد حُــمَّ القضــاءْ

وَعــدُوُّنا في زَحفِــه ملَــكَ المســالكَ والفضــاءْ

لكنَّــني مــا زلــتُ أر جُــو أن يحــلَّ بــه العنــاءْ

وأصـــونَ مُلْكـــك مِـــن فنـــا ءٍ والـــبلادَ مـــن الـــبلاءْ

وجميـــعُ سُـــؤْلِي أن أُجـــا بَ لمـــا ســـأَلتُ مـــنَ الرضـــاءْ

الملكة :

أنـــتَ لي عُـــدَّةٌ وموضـــعُ إِكْبَـــا ري فأهـــلٌ إذَنْ لكـــلِّ رضـــائي

أَنـــت عنـــوانُ قُـــوَّةِ الجـــيشِ غـــلَّا بًا فعـــشْ ســـيدًا كبـــيرَ المَضـــاءِ

القائد الأعظم :

إنَّ سُـؤلِي الحيـاةُ في شَـرَفِ العَـرْ شِ ... ...

الملكة (مقاطِعة) :

... ... لقـد حُـزْتَ كُـلَّ فَخْـرٍ لِعَرْشِـي

فاذْهَب الآنَ للوَغَى ناصرَ (الشَّمْـ ـسِ) فتحمي البلادَ مِنْ كُلِّ بَطْشِ

القائد الأعظم (يركع ويقبل يدها ثم ينشد) :

آنَ الـوَدَاعُ إذنْ ... فيـا تَـوْدِيعي كُـنْ لي علـى بُعْـدِي أبـرَّ شَـفِيعِ

هَـذَا دَمِي سيُرَاقُ في ساح الوَغَى شَـرَفًا، فَعيشـي تَاجَ كـلِّ رفيـعِ

وَلَـدَيْكِ أعْـوَانٌ شُـهُودٌ، كلُّهـم وافٍ لـذكرِ عـواطفي وصَـنِيعي

(ينحني احترامًا للجميع ثم يخرج بعد الاستماع لنشيد التوديع الآتي.)

الجميع :

سِـرْ للـدِّفاع عـن الكَـرَا مَـة والحَضَـارَةِ والمَفَـاخِرْ

واحفـظْ (لتـدمر) مَجْـدَها مِـنْ ذلـك العـادي المُكَـابِرْ

فحِجَاكَ يومَ الرَّوْعِ قاهرْ!

(يسمع هذا النشيد خارج المسرح.)

الحاشية (خارج المعبد) :

هكـذا هكـذا الجريءُ الشُّجَاعْ فلْتنـلْ مـا تشـاءْ يا حليـفَ الظَّفَـرْ

ولتعدْ في جلالْ! ولتعـدْ في جـلالْ!

لنْ يُصيبَ الأذَى الرئيسَ المُطَاعْ الشريفْ الإباءْ الحليفَ القَدَرْ

العديمَ المِثَالْ! يا عظيمَ المَآلْ!

الفيلسوف لونجينوس :

بإذنِـكِ مـولاتي أرى خَيْـرَ نِعْمَـةٍ لتُهْدَى (لِپيلنيوس) إنْ عَادَ ظافرا

بـــــــدًا (لمرنـــــــدا) ...

كبير الكهنة (غاضبًا) :

... حَسْـــــبُكَ الآن لا تَـــــزِدْ وَلَا تَـكُ في هـذي المشـورة عـاثرًا

وكـم لـكَ رأيٌ ردَّه الحِلْـمُ فلْنَضَـعْ لنُصْحِكَ حَدًّا، واتْرُك النُّصْحَ ساخِرا!

الملكة :

أيُّ ذنـبٍ جنـاه يا (ثاديُـوسُ)؟! إنَّمـا الحُـبُّ مـا تُعِـزُّ النفـوسُ

و(مِرَنْـدَا) تُحـبُّ طلعـةَ (پيلنيـو سَ) حُبًّـا، كـذاك (پيلنيـوسُ)

لم يُسـئْكَ الصـديق في نُصْـحِهِ هـ ـذا، ففـيم المـلامُ يا (ثادِيُـوسُ)؟!

الفيلسوف لونجيوس :

حَسْـبِي شـهادتُكِ الكريمـةُ هـذه مـا رُمْـتُ إلَّا الـوُدَّ والتقـديرَا

أيُـلامُ مَـنْ بَـذَلَ المحبَّـة ناصـحًا ويُعَـدُّ مـن نَشـر الخـداعَ قـديرا؟!

كبير الكهنة :

مـــا الـــذنبُ ذَنْـــبي بلـــومٍ الـــذَّنْبُ ذنـــبُ صـــديقِي

فكـــم أشـــارَ بـــرأيٍ أدَّى لضـــيقٍ وضـــيقِ

وحَسْـــبُنَا الحـــربُ هـــذي ... ...

الفيلسوف لونجينوس (متعجبًا عاتبًا) :

... ... مـــاذا؟ أهـــذا حقيقـــي؟

فـــيمَ الغُلُـــوُّ بعـــذْلٍ وأنـــتَ دَوْمًـــا رفيقـــي؟!

فمـــا نَصَـــحْتُ وحيـــدًا في النُّصْـــحِ، أوْ في طريقـــي![٣]

الملكة (عاذلة ناصحة) :

أَنْتُمَـا (فَرْقَـدَانِ) للمُلْـكِ فَلْيَبـْ ـقَ على المُلْكِ مِنْ هُدَى (الفرقدين)

ووزيـري الأَجَـلُّ (كـالقمر) النـا شـر (للشـمس) نُورَهَـا رغـم بَـيْنِ

هكـذا أنتمـو الثلاثـة أضـوا ء حيـاةٍ وقُـوَّةٍ ثم عَـوْنِ

فدعوا مَسْلَكَ التَّنَابُذِ بَيْنَا خَصْمُنَا غالـــبٌ، وكونـــوا لِصَـــوْنِ

كبير الكهنة :

يا رَبَّـــةَ التَـــاج عَفْـــوًا فمـــا أرَدْتُ الإســـاءهْ

وألـــف شـــكرٍ لشُـــكْرٍ فأنـــتِ أصـــلُ الإضـــاءَهْ

الوزير الأعظم :

باسم المليكةِ قُلْ ما شِئتَ وانْبِينَا عما أَهَاجَكَ يا مـنْ عُـدَّها دِينَـا

كبير الكهنة :

بأمـرِكِ الآن أرْوِي خشـيتي وَجِـلا مِـنْ قَائِـدٍ مـاكرٍ بالخُبـثِ يُلْهِينَـا!

الجميع (في دهشة) :

ماذا تقولُ؟

كبير الكهنة :

... نَعَـــمْ! بالخبـــثِ يُلهينـــا ويـــترُكُ الخصـــمَ غـــلَّابًا فيُفنينـــا

وقـد سمعـتُ لـه تلمـيحَ مُجْـتَرِئٍ يَهْوَى من العرشِ حَظَّ المُرْتَجَى فينَا

فيُصْبِحُ المَلِكَ القَهارَ في وَطنٍ قد صانَ مُلْكَك عَهْدَ الحُبِّ بل دِينَا

الجميع (في تعجب) :

ماذا تقولُ؟!

كبير الكهنة :

... سيُبدي يومَ حاجتنا إليه ما كان يخفيه فيُشقينَا ...

أمَّا فَتَاتي فلن أرضى مَحَبَّتَهَا له وقد بات خدَّاعًا يُراضينَا

وقد تَحِينُ أحايينٌ يُهدِّدُنا بحيلةِ الخائنِ الجاني فيُرْدِينَا!

الملكة (متظاهرة بالدهشة) :

حيَّرْتني أيَّ حَيْرَهْ! ماذا! أيَنْشُدُ ضَيْرَهُ؟!

هل جُنَّ أم باع مَجْدي إلى عَدُوِّي الألَدِّ؟

أم حَنَّ جَهْلًا لِأصْلِهْ؟ إذنْ فَحُكْمي بقَتْلِهْ!

بئس الجنيبُ الدخيلُ إذا عداه الجميلُ!

أمَّا فُؤادي وعَرْشِي فمِلْكُ شعْبي ونعْشي!

أظـــــل رَبَّـــــةَ نَفْســـــي حـــــتى يُكَفَّـــــنَ حِسِّـــــي!

وَيْـــلٌ لـــــه مِـــــنْ خَـــــؤُونِ ومِـــــنْ أصـــــيلِ الجُنُـــــونِ

دَمِـــــي فـــــداءٌ لقَـــــوْمي ولـــــــن أُذَالَ بيَـــــــوْمِ!

الوزير الأعظم :

خَفِّفـي عَنْـك! بعـضَ هـذا فـإنِّي لا أرى الخـوفَ هكـذا أُسَّ حِكْمَـهْ

حَسْـــبُكِ اليَـــوْمَ يا مليكـــةُ أنَّا حَوْلَـكِ اليـومَ: حَزْمُنـا حَـزْمُ أُمَّـهْ!

الفيلسوف لونجينوس :

وأنا كـــــذلك لـــــن أديـــــ ـــــنَ إلى الخيـــالِ والانزعـــاجْ

يكفـــي التعـــاونُ باحـــترا سٍ في حِمـــى عَـــرْشٍ وتاجْ

ومـــن المليكـــةِ قـــدوةٌ للشـــعب إنْ عـــمَّ الخَطَـــرْ

تُـــذْكِي شَـــجَاعتُهَا الجَبَـــا نَ وتُلْهِـــمُ الجُهْـــدَ الحجَـــرْ!

(تنهض فيقف الحاضرون.)

الملكة :

إذنْ فـــــــلا تيأســـــــوا إذَنْ فقولـــــــوا معـــــــي

(ينشدون جميعًا مع الملكة البيتين التاليين.)

حَياتُنـــــــا لِلـــــــوغَى للمَـــــــوْطِنِ المُوجَـــــــع!

هيهـــــــات أن يعتلـــــــي الظـــــــالمُ المُـــــــدَّعي!

الحاشية (يسمع هذا الترديد في الخارج بينما الملكة ومن معها متجهون إلى باب المعبد للخروج) :

حَيَاتُنـــــــا لِلْـــــــوَغَى للمـــــــوطنِ المُوجَـــــــعِ!

هيهـــــــات أن يَعْتلـــــــي الظـــــــالمُ المـــــــدَّعي!

(ثم تسدل الستارة العامة فورًا.)

الهوامش

(١) بيلنيوس القائد الأعظم لجيشها.

(٢) قائد الجيش الروماني المحارب للتدمريين.

(٣) أو في خطتي.

الفصل الثالث

المنظر الأول

حصن تدمر

(يمثل المنظر حصن تدمر قبيل الغروب في مشهد رائع والشمس باعثة بأشعتها الأرجوانية بين صفوف النخيل على الرمال الذهبية والحجارة التاريخية العتيقة، ويبدو رجال الحامية في مواضع متفرقة ومعهم سيوفهم وسهامهم ودروعهم، وتبدو المنجنيقات في مواضع مختلفة من الحصن. وقد زارته الزَّبَّاء على موعد من القائد الأعظم الذي جاء من ميدان القتال بحجة تقوية الدفاع، ولكنه جاء في الواقع ليساوم الزباء على التَّزوج منه حتى يصبح ملك تدمر، وذلك ثمنًا لإنقاذ المملكة من خطر الرومانيين الزاحفين على تدمر بعد أن هزموا التدمريين أخيرًا في موقعة حمص، وبعد أن أخذوا يجتازون القفار والاستحكامات إلى العاصمة.)

الملكة :

مـاذَا؟ أتَنْسَـى أنـتَ فضْـلَ رعـايتي ... وتخْـونُ عَرْشـي في مقَـامِ جِـلَادِ؟!

أكذا الشَّجَاعةُ والشَّهامةُ والحِجى ... أكــذا تكــون قيــادةُ القُــوَّادِ؟!

أعـدَدْتَ لي وَطَنًـا غريبًـا عنـكَ لم ... تخْدِمْه حين نسيتَ حَقَّ بـلادِي؟!

مــاذا تَرَكْــتَ لخــاذِلي أوطــانهم ... جُبْنــا بيــوم كريهــةٍ وتَنَــادِ؟!

القائد الأعظم :

مـا بـيْ أمـسِ مَضـى ويَـوْمٍ آتِ ... الحــرْبُ لا تعنــو أمــامَ حيــاةِ

حَصَدَتْ مئاتٍ للنُّفُوسِ وما وَنَتْ ... ولسـوفَ تُتْبِعُهَـا بحَصْـدِ مِئَـات

وأنا الـذي دافَعْـتُ عنـكِ مجاهـدًا ... أسْمَـى وأكـرمَ مِـنْ دفـاعِ كُمـاةِ

أحْبَبْتُـكِ الحُـبَّ الـذي لا ينتهـي ... برعايــةٍ أو دعــوةٍ وصــلاةِ

وسَـعَيْتُ خَلْـفَ المستحيل ولم أنمْ ... في هَـوْلِ معركـةٍ وسـيلِ مَمَـاتِ

أجــزَاءُ مثلــي أن يُعَيَّــرَ هكــذا ... بشــجاعةٍ وصــلَابَةٍ وثبــاتِ؟!

الملكة :

لـيس هـذا مِـنْ دِفـاعٍ فـادَّكرْ ... ما أصابَ الجيشَ مِنْ بَعْدِ انْهزَامِ

كيـف تأتي كجبـانٍ لم يَقِـرْ ... لحظةً في الحربِ مِنْ هَوْلِ الصِّدَامِ

إنمـا الجُنـديُّ في سـاح القِتَـالْ ... يبـذُلُ الـرُّوحَ لأوطـانِ تُعَـانِي

ليس مَنْ يفخـر في وقـتِ المَلالْ ... لـيس مَـنْ يهـرُبُ جُبْنًـا للأمـانِ

كيـف ترجـو أن تُحَيَّـا بالجـلالْ ... وبقـايا الجـيشِ تُزْجَـى للهـوانِ؟!

ثم تأتي طالِبًـا مـنِّي المُحَـالْ ... حاسـبًا أني أُضَـحِّي لجبـانِ!

إنَّ عَرْشِـي مِلْـكُ قـومي وَحْـدَهم ... ثم نفسي مِلْكُ نفسي لا الحسام!

القائد الأعظم :

أتـردِّين هكـذا سُـؤلِيَ الحـقَّ ... وتَنسـين كـلَّ مـا قـد بَـذَلْتُ؟

كـلُّ مـا قـد سَـألْتُ أنْ أغتـدي إلـْ ... ـفَكِ ... والعَدْلُ هكذا ما سألْتُ!

تَتَناسـين سـاعةَ الخَطَـرِ الـدَّا ... هـمِ ... لا تـذكرين مـا قـد كَفَلْتُ

الملكة :

بِرَغْمِـــيَ أنَّـــكَ مَـــنْ يَنْفَـــعُ ومَـــنْ يَـــدْفَعُ الخطْـــبَ أو يمنـــعُ!

فهـــل لـــكَ مِـــنْ عَـــوْدَةٍ للجهـــا دِ فتُكْرِمُـــكَ العـــينُ والمسْـــمَعُ

وتغـــدو أمـــيرًا بحُـــبِّ النُفُـــوسِ وهـل بعـد حُـبِّ الـورَى مَطمَـعُ؟!

القائد الأعظم :

نســـــيتِ حُـــــبِّي فَخَلِّـــــي عَـــذْلي، ففـــي العَـــذْل قَتْلـــي!

وســـــــامحيني وَعُـــــــودي إلى الرِّضـــــــى والتَّجلـــــــي

أكـــــانَ هـــــذا كثـــــيرًا علـــــى وَفـــــائي وعقْلـــــي؟!

فـــــإنْ رَضـــــيتِ فـــــإني ســـــأجعلُ النَّصْـــــرَ شُـــــغْلي

الملكة (غاضبة) :

أتُسَـــاوِمُ أنـــتَ علـــى عَرْشـــي وتعـــافُ الحـــرْبَ بـــلا ثَمَـــنِ؟!

فاذهَـــبْ إنْ شـــئتَ ولا تـــذهبْ إنْ خُنْـــتَ، فكُلِّـــي للـــوَطَنِ!

ســـأطيلُ الحَـــرْبَ بـــلا وهَـــنٍ ويـــلًا للبَـــاغي المُمْـــتَحن!

وأقـــودُ بنفســـي جَـــيْشَ أبي للنَّصْـــرِ علـــى رَغْـــمِ الـــزَّمنِ

القائد الأعظم :

أكذا تغضبينَ؟!

الملكة :

... اذْهَـــــــبْ ودَعْـــــــني لستُ مَـنْ تُشْـتَرى بتهديـد مـاكِرْ

القائد الأعظم (عاتبًا محتجًّا) :

قـد تَمَادَيْـتِ رَبَّـةَ التَّـاجِ في اللَّـوْ م، وقـد كـان كـلُّ لَوْمِـكِ ظُلْمَـا

وتَنَاسَـيْتِ كُـلَّ فَضْـلي وجُهْـدِي فَعلى الحَـرْبِ أنْ تُسَـجِّلَ حُكمَـا!

(ينحني القائد الأعظم احترامًا للملكة ثم يتركها في شبه غضب.)

الملكة :

أيها الجندُ! ...

(يقبل أمام الملكة من جوانب الحصن عدد وافر من الجند في زيهم الحربي.)

الجند :

إنَّ أمـــــرَكِ طاعَـــــهْ ... ربَّـةَ العـرشِ والسَّـنَا والمَنَاعَـهْ![1]

الملكة :

مَنْ دَانَ منكم بحبِّي؟

الجند :

... ... جَمِيعُنَـــا مَـــنْ يـــدينُ!

الملكة :

أتبذلون لِنَصْرِي؟

الجند :

... ... هيهـــات فينـــا الضـــنينُ!

(متحمسين.)

جَميعُنَـــا مـــنْ يُضـــحِّي فمـــا يَعِـــزُّ الثمـــينُ

فأنـــتِ مُلْـــكٌ وكَنْـــزٌ وأنـــتِ تاجٌ وديـــنُ!

الملكة (مشيرة إلى بعد خارج الحصن):

هـذا العـدُوُّ أتـى يُحاصـرُ (تَـدْمُرَا) من بعد ما اكْتَسَحَ المدائن والقُرَى!

الجند :

سَـنُرِيقُ خـيرَ دمائنـا لـدفاعِنا عَنْهـا بـلا وَهَـنٍ، ولَـنْ نتقهقـرَا!

وإذا التجـأنا للقـلاعِ فإنَّنـا كالأُسـدِ جاثمـةً لتقـتحمَ الـذُّرى!

الملكة (تشهر سيفها) :

أقْسِـمُوا أقْسِـمُوا بسـيف البُطُولـهْ وانبـذوا الخـائنَ العـديمَ الرجولَـهْ!

الجند (يشهرون سيوفهم ويوجهونها نحو سيف الملكة) :

قَسَـمًا بِسَـنَاكِ وَدَوْلتـهِ والمجـدِ وموطننـا العـالي

سـندافعُ عنـكِ بـلا وَهَـنٍ كالجِنَّـةِ قبـل الأبطـالِ

نَفْـدِيكِ بأرواحٍ خُلقَـتْ لتصـونَ مُحيَّـاكِ الغـالي

ونخـطُّ بأسـيافٍ كَرُمَـتْ تاريـخَ كـريم الأجيـالِ

ونصـونُ لأحفـادٍ عِـبرًا وفخـارًا يَتْلُـوه التَّـالي!

(تنزل الستارة الداخلية لفترة قصيرة استعدادًا للمنظر الثاني.)

المنظر الثاني

(مشهد ريفي في الليل وشاطئ نهر الفرات في خلف المسرح، وأشعة القمر مرسلة ما بين النخيل، وتألق النجوم واضح في السماء، ويقع هذا المنظر بعد المنظر الأول بأسابيع قليلة، وقد تمكن الرومانيون بقيادة قائدهم مارسيوس وبفضل خيانة پيلينوس من اجتياز القفار والاستحكامات المنيعة – بعد موقعة حمص – ومن محاصرة تدمر، ولكن بعد أن هرب ولي العهد – هبة الله – من الأسر والتحق بجيش العاصمة، وفي هذا المشهد تمثل محاولة الزباء الهرب مع ولي العهد إلى ملك الفرس للالتجاء إليه والاستنجاد به على أعدائها، بعد أن كادت المدينة تسقط في أيدي الرومانيين، ثم استطاعة الرومانيين اللحاق بهما وأسرهما، وقد كان لمرندا الفضل الأول في محاولة تهريبهما بعد أن أيقنت خيانة پيلنيوس لها في حبها ثم خيانته للملكة وللشعب.)

الملكة (تظهر تحت النخيل في جانب المسرح ومعها من

حاشيتها كبير الكهنة ثاديوس) :

مـــــــا علينـــــــا الآن إلَّا وَقْفَـــــة تحـــــت النخيـــــلْ

في ارتقابٍ للرحيلْ!

الوزير الأعظم :

بالـــــرغم منَّـــــا يا مليـــــ ـــــكةُ أن تســـــيري لاغـــــترابِ

لكـــــنْ لعـــــلَّ (الفُـــــرْس) تنـــــْ ـــــجدُنا علـــى هـــذا المُصـــابِ

كبير الكهنة :

هكـــذا حِكْمَـــةُ المقـــادير شـــاءتْ والـــذي كنـــتُ خاشـــيًا قـــد تَحَقَّـــقْ

وكفـــانا مـــن الثبـــاتِ رجـــاءٌ لـــكِ والعْـــرشِ والـــولاءِ المُحَقَّـــقْ

الفيلسوف لونجينوس :

دَعـــانا مـــن الآلام ولنَـــدْعُ بالهُـــدَى وبالفَـــوْزِ في المسْـــعَى لصـــاحبةِ التَّـــاج

نَجَـــاةٌ لهـــا تكفـــي نجـــاةً لمُلْكِنـــا مـــتى رجعـــتْ في عســـكر بـــين أفـــواجِ

فتكشـــفُ عـــن أوطانِنـــا غُمَّـــة العِـــدَى كمَا يتأرُ الإصباحُ من خَصْمِهِ الدَّاجي!

مرندا :

أمَّـــا أنا فالصَّـــفْح أطـــْ ـــلُبُ منـــكِ حـــتى تَصْـــفَحي

لـــــولايَ (پيلنيـــــوس) لم يَـــــنْجَحْ ولم يَتَـــــبَجَّحِ

أخْلَصْـــتُهُ حُـــبِّي فمـــا أبْقَـــى ولَّـــا يَسْـــتَحِي

وقضـــى علـــى أمـــلِ الـــبلا دِ وقادَهـــــا للمـــــذبحِ!

الملكة :

مـــا مضـــى ولَّى وَحسْـــبي أن أُغيـــثَ اليـــوم شَـــعْبي

أنا لا أمضـــــي هُـــــرُوبًا رُبَّمـــا أمضـــي لِخَطْـــبِ

غـــير أنَّ السَـــعْيَ أجـــدَى مـــن سُـــكونٍ يـــومَ حَـــرْبِ

لـــيس لي ذنـــبٌ بهـــذا إنَّمـــا الإخـــلاص ذَنْـــبي

الوزير الأعظم :

سوفَ لا ينساكِ شَعْبٌ لَنْ يَحيدْ عـــــن ولائِـــــه

لا ولا أن يرتضـي حـظَّ العبيـدْ ... في سمائِـــــــــــــــــهْ

اقصـدي يا كوكـب التَّـاج العزيـزْ ... دون لَـــــــــــــــوْمِ

سـيِّدَ (الفُـرْس) فهيهـات يُجِيـزْ ... نشـــــــــر ضَـــــــيْمِ

قـد غـدا (الرُّومـانُ) أشْـباهَ الجـرادْ ... في خَـــــــــــــــرَابِ

واسْـتَحَلُّوا كـلَّ أنـواعِ الفسـادْ ... والعـــــــــــــــذابِ

اذْهَـبي بالـرَّغم منـا ولْتكـوني ... بـــــــين أهْـــــــلِ

نحـن مَـنْ يُـؤثرُ أنـواعَ المَنـونِ ... قبـــــــــــــلَ ذُلِّ

كبير الكهنة :

إنَّمـا نحـن وَحْـدَةٌ أنـتِ منهـا ... مركـزٌ ثابـتٌ عزيـزُ المقـامِ

إنْ تُسِـئنا الأيَّام دُرْنا ومـا زلـْ ... ـنا نُناجيـكِ لا رضـى الأيَّامِ

والخَـؤونُ الـذي أسـاءَ إلينـا ... سـوفَ يلقـى جـزاءَه بالحُسـامِ

نحـن شـعبٌ أساسُ نهضـته الصَّبـْ ... ـرُ، وبالصَّـبرِ يرتقـي كـلُّ سـامِ

جُهْـدُنَا أصـلُهُ اليقـينُ فمـا نعْبـ ـــبأُ بالـــدَّهرِ أو أذى الظُّـــلَّامِ!

الفيلسوف لونجينوس :

العُـــــــرُوشُ والأمـــــــمُ تُبْتَـــــــــنى وتنهـــــــــدِمُ

لا تعـــــــيش خالـــــــدةً حـــــين فاقهـــا الشَّـــمَمُ

مـــــــوطنٌ لِنُصْـــــــرَتِه أنـــــتِ لـــــيس ينهـــــزمُ

قـــــد حفظـــــتِ همَّتَـــــه حـــــين ضـــــاعت الهِمَـــــمُ

مرندا :

وَقَفْـتُ عليـكِ أحلامـي وقَلـبي وكـم عشـقتكِ أحـلامُ النِّسـاءِ

وكنـتُ أسـأتُ في ظـنِّي بحُـبِّي فأَلْهَمْـت الكـريمَ مـن العَـزَاءِ

سـنحفظُ ذكـرَكِ البـاقي ونَحيـا حيـاةَ المُؤمِنَـات علـى رجـاءِ

ونرتقـبُ اقـتراب غَـدٍ لثـأرٍ يُعيـدُ التـاجَ في أسمـى بهـاء

الملكة :

مـاذا جَـرَى والجُنْـدُ لمَّـا يحضُـرُوا أتـرى كُشِـفْنا أم أُضِـلَّ العسـكرُ

الوزير الأعظم :

هُـــمْ والأمـــيرُ يهيئـــو ... ن القَـــارِبَيْنِ علـــى نظـــامِ

وَلَسَـــوْفَ يأتِي جَمْعُهـــم ... في فَتْـــرَةٍ للإغتنـــامِ

(يسمع صوت خيل على نغم موسيقى لفترة صغيرة.)

الملكة :

والآنَ قبـلَ وَداعِكـم أُحيـي هُنـا ... عَهْدِي بأن أشقى ولا أنْسى المُنى

وأذيـقَ مَـنْ باع الأَمانـةَ عابثًـا ... بالمـوطن الغـالي الشَّـقاوَةَ والعَنَـا

أوْدَعْـتُكم أهلـي وخـيرَ عـواطفي ... وأبَيْـتُ أن أجْـني علـى وطـني أنَا

حاشـا ليَ التَّسْـليمُ أو هَـرَبٌ بـه ... عـارٌ، ولكـنِّي رَحَلْـتُ عـن الـدُّنى

وتركـتُ شـعبًا مؤمنًـا برجـاحتي ... سـلَّ السـيوفَ الهـاجراتِ الأجْفُنَـا

فـإذا ظفـرتُ ملكـتُ كـلَّ عظيمـةٍ ... وإذا فشلتُ فما حُرمتُ من السَّنَا

والشَّـعبُ لا يَهـوي شـقيًّا بينمـا ... التَّـاجُ لا ينسـى الكرامـةَ دَيْـدَنا

فزِنــوا مــواقفكم وكونــوا قُــدْوَةً للناس ... إنَّ الناسَ قُدْوَتُهُم بِنَا

يا ويلَ شعبٍ عاشَ وهوَ مُضَلَّلٌ بالقائِــدين فمــا تقــدَّم مُؤمِنَــا

نــورُ الرَّجــاءِ بكــم فــلا تتهــاونوا أو تحسبوا حُكْـمَ الممالـك هيّنَـا!

الجميع :

اطمئــــــنِّي يا مليكَــــــهْ! اطمئــــــنِّي اطمئــــــنِّي!

عساكر الرومان (تسمع عن بعد أصواتهم ثم تقترب تدريجيًّا وقد عرفوا هرب الملكة وولي عهدها، فهبوا لمطاردتها ومن معها، ويقودهم قائدها الخائن پيلنيوس) :

قِفُــــــوا! قِفُــــــوا! لا تُسْــــــــــــــــرِفُوا!

أَوْلى بكــــــــــــــم أنْ تُشْــــــــــــــرِفُوا[٢]

عــــــــنْ بَحْثِنَــــــــا لــــــــنْ تخْتفــــــــوا!

الملكة (في ثبات) :

حَكَــمَ القَضَــاءُ ولَا مَــرَدَّ لحكْمِــهِ لكــنَّ لي أمــلًا يعــيشُ كبــيرا

أمَلـــــــي بشَـــــــعْبي ...

حاشية الملكة (في اضطراب) :

... واجبٌ أن تختفي

الملكة (في ثبات وأنفة) :

... ... كـلا! فقَـدْرِي مـا يـزالُ قـديرًا

أنا لا أهـابُ ولـن أكـونَ أسـيرةً للجُبْنِ ... بل أذَرُ الغَشُومَ[٣] أسيرا

هـاتي الصـواعقَ يا سمـاءُ فـإنني أهـلٌ لقلـبٍ لـنْ يُـرَاعَ صـغيرا!

(يدخل عدد كبير مسرع من الجند الروماني بقيادة قائدها الخائن بيلنيوس ويلتفون في دائرة واسعة حول الملكة ومن معها إلا من جهة النظارة.)

عساكر الرومان :

ســـــــلِّمُوا ســـــــيوفَكُمْ! ســـــــلِّمُوا ســـــــيوفَكُمْ!

حاشية الملكة (وقد شهروا السيوف وحاولوا التصدر دفاعًا عن الملكة ومرندا) :

تَحْيـــــــا (تَـــــــدْمُر)! تَحْيـــــــا المَلِكَـــــــةْ!

الملكة (في غضب واشمئزاز رامية نعلها في وجه پيلنيوس قائدها الخائن) :

أهذا أنتَ يا خائنْ؟!

(فتسدل الستار العامة فورًا.)

الهوامش

١) المناعة: القوة والاعتزاز.

٢) أن تطلوا وتظهروا.

٣) الغشوم: الغاصب الظالم.

الفصل الرابع

(مشهد جانب ساحة النصر الكبرى بمدينة رومة شائقة بعمدها وبناياتها الرائعة، وقد ازدحم أعيان الشعب في المكان المعد لاستقبال الإمبراطور (أورليان) في عربته ماشية أمامها الملكة الأسيرة.)

الشعب (أصوات مترددة خلف المسرح من بعد وقرب) :

عاشـــــــتْ (رُومَـــــــةُ)! عاشـــــــتْ (رُومـــــــةْ)!

(ثم يمر عدد منه رجالًا ونساء في مرح ويرقص الجميع على قطعة مطربة تعزفها الأركسترا نحو خمس دقائق، ثم يسيرون في طريقهم فيتركون المسرح من الجانب الآخر.)

(الماثلون أَمام النظارة في هذا المشهد) :

(رُومَـــــــةُ) اعْتَلِـــــــي رُكْنَـــــــكِ العلِـــــــي

وافْرَحِـــــــي بمـــــــا حُـــــــزْتِ واحْفَلِـــــــي

نَصْـــــــــرُنا عَـــــــــدَا كُـــــــــلَّ مأْمَـــــــــلِ

زانَ صِـــــــــــــــيتُه كُـــــــــلَّ مَحْفَـــــــــلِ

وبَـــــــــدَا سَـــــــــنَا كُـــــــــلِّ هَيْكَـــــــــلِ

(رُومَـــــــــةُ) اعْتَلِـــــــــي (رُومَـــــــــةُ) اعْتَلِـــــــــي

الجند (وتسمع أصواتهم خارج المسرح وهم مقبلون في ركب ينشدون هذا النشيد) :

احكمـي يا (رُومـةُ) حُكـمَ العُلَـى وانْشـري الـذكرَ عزيـزًا في المَـلَا

والْبثـــي للمعجـــزات مَـــوْئِلَا وافتحـــي الـــدُّنيا وعِيشـــي مَـــثَلَا

للحيـــاةِ والمعَـــالي والفخـــارِ للزَّعَامَـــــةْ! للحضـــــارَه!

•••

اقْبَلـــي اليـــومَ تَحيَّـــاتِ الجُنُـــودْ وامنحـــيهم نُـــورَ مَـــرْآكِ الـــوَدُودْ

قـد أعـادوا بالـوغَى حَـقَّ الجُـدُودْ وأَذَالُـــوا كـــلَّ مَفْتُـــونٍ حَسُـــودْ

بالثَّبَـــاتِ والفِعَـــالِ وانتصـــارِ للكرامَـــــةْ! للجَـــــدَارَهْ!

(يدخل ركب الإمبراطور وفي مقدمته طائفة من الجند ثم القواد وعلى رؤوسهم الغار، وبينهم قائد تدمر الخائن پيلنيوس، ثم الملكة الزباء أسيرة وعليها سلاسل الذهب والجواهر، ماشية أمام عربة الإمبراطور، وبجوارها حارسان يسندانها حيث يكاد يغمى عليها من التأثر بالهوان، ثم عربة الإمبراطور يجرها الجند ويحيطون بها، وتقف العربة بعد الظهور على المسرح.)

الإمبراطور (أورليان) (يبدي إشارة التحية الرومانية فيحييه الجميع باحترام كذلك ويخاطب أشراف رومة) :

فَتَحْنَا (تَدْمُرَ) الفَتْحَ العَظيمَا وأسَّسْنا بها حُكمًا حَكِيمَا

وهذا عَرْشُها يَهْوَى عديمَا فحيُّوا جُنْدَكم ... لا شكَّ فيمَا

حَبونَا مَنْ عظيمِ الانتصارِ!

الأشراف :

ألا يا أيها الملِكُ العظيمُ تَقَبَّلْ قَبْلَهُمْ حُبًّا يُقِيمُ

فمنــك تــدفَّقَ الفَضْــلُ العمــيمُ ومنــكَ العَــزْمُ والــرأْيُ الســليمُ

فعشْ واسلمْ (لرُومَةَ) في ازدهار!

وأنــتم أيُّهــا الأجنــادُ أنــتمْ رجــاءُ الشَّــعْبِ، فَلْيُكْرِمْــهُ مــنكُم

وَفَــاءٌ لــن يُغيَّــبَ قــطُّ عــنكمْ وأهــلًا بالبســالة يــومَ صُــنْتمْ

لنا عَلمًا ولم تقِفُوا لِعَارِ!

الجند :

شَــكَرْنَا فَخْــرَكُمْ هــذا بِفَخْــرِ فــنحن حُمَــاةُ موطِننــا الأَعَــزِّ

نســيرُ لِنَصْــرِهِ في كُــلِّ مِصْــرِ فمــن نَصْــرٍ لــه نمضــي لنَصــر

ونرجعُ بين أضواءِ النَّهار!

الشعب (أصوات مترددة خلف المسرح عن بعد وقرب) :

تَحْيا (رُومَةُ)

تَحْيا (رُومَةُ)

حسان الرومان (تدخل ثلاث حسان رومانيات حاملات

باقات الزهر من الشعب إلى الإمبراطور، وينشدن ثم يرقصن بعد ذلك على نشيد الجمع) :

قـــــد بُعثنـــــا بالتَّحـــــايَا مِـــــلءَ باقـــــاتٍ نَدِيَّـــــهْ

فاقبـــــل الحُـــــبَّ المُـــــوَافي يا مليكًـــــــا للرعيَّـــــــهْ

واغتـــــبطْ بـــــين التَّهـــــاني والأنَاشِـــــــيدِ الهنيَّـــــــهْ

إنمـــــا قـــــد حُـــــزْتَ نَصْـــــرًا هَـــــزَّ أعـــــلامَ البَرِيَّـــــهْ

كـــــم رقصـــــنا وشـــــرِبنا بالكئـــــوس الذهبيَّـــــهْ

فَلْنَـــــدُمْ للنَّصْـــــرِ رَمْـــــزًا ولـــــتعشْ للمدنيَّـــــهْ!

الإمبراطـور (متناولًا الباقات وواضعها في عربته ومقبلًا رؤوس تلك الحسان) :

أهـــــلًا بباقـــــات شَـــــعْبي وبالتحـــــايا الجميلَـــــهْ!

نبيلـــــــةٌ في شـــــــعورٍ وبالثغـــــور النَّبيلَـــــه!

ارقُصْـــــن يا فاتنـــــاتٍ رَقْـــــصَ الأمـــــاني الجليلَـــــهْ!

الجميع (ينشد الرومانيون هذا النشيد لإطراب

الإمبراطور بينما ترقص الحسان) :

يا (رُومَـــةُ) اسْـــتَمِعِي الأَلْحَـــانْ فِي حُـــبِّ شـــعبِكِ مفتـــونَا

بحفظِ عَهْدِكْ!

إنَّا وَهَبْنَـــــاكِ الوِجْـــــدَانْ فمـــــا وَهَبْنَـــــا مَغْبُـــــونَا

بفَضْل قصدِكْ!

تبقـــين أنـــتِ مَـــدَى الأَزمـــانْ فالمجـــــدُ يبقـــــى مرهـــــونَا

بمثلِ جُهْدِكْ!

مـــا عـــاش شَـــعْبٌ بَعْـــدَ تَـــوَانْ بـــــل صـــــار مَيْتًـــــا مَـــــدْفونَا

عيشي لمجدِكْ!

(ثم تحيي الحسان الإمبراطور باحترام وتغادرن المسرح.)

الإمبراطور (مخاطبًا الزباء وقد تمالكت نفسها) :

والآن يا مَنْ جَنَتْ ذُلًّا بما صنعتْ ماذا اكتسبتِ بهذا الذلِّ ألوانَا؟!

ضيَّعتِ مُلكًا كما ضيَّعْتِ سابقةً مِـن المـودَّةِ قـد راعتـكِ أزمـانَا

الزباء :

أنـتَ أخطـأتَ عنـد ظنـك هـذا إنَّ مثلـي تَجِـلُّ عـن أن تُـذَلَّا

لِيَ جسـمٌ أسـيرُ روحـي، وروحـي دائمًـا تسـكنُ المكـان الأجـلَّا!

(يظهر الحاضرون دهشة لكبريائها.)

الإمبراطور :

أتظلِّـين في الغـرورِ؟ ... ... إلامَـا؟!

الزباء (في تأثر تنشد دفاعها) :

إنْ كُنْـتَ قـد أُوهِمْـتَ ذاكَ جَزَائـي فلقـد جَهِلـتَ العـدلَ دونَ مِـرَاءِ!

أنا مَنْ حَفظتُ لك الودادَ فما دهى ذاك الـودادَ وكُنْـتَ رَمْـزَ إخـائي؟

سـائلْ شُـعورَك ثم سـائلْ خائنًـا كـم ظـلَّ يعمـلُ في سـبيلِ عَـداءِ!

(مشيرةً إلى قائدها الخائن پيلنيوس بينما هو في حيرة واضطراب.)

كـم حَضَّـني ودعـا لثـورة غاشـم وحُـروبِ أهـواءٍ صـباحَ مسـاءِ

فَنَهَرْتــهُ فــازداد غَيًّــا، عــاملًا ... للحــربِ ثم الفتنــةِ الشــعواءِ

لـولاه مـا عـرفَ التبـاغضُ موضـعًا ... مِنَّــا ولا بِتْنــا أمــامَ بــلاءِ

إنْ كـان صـاحَبَكم فلـيس لصـحبة ... مــا حُــبُّ (رومــةَ) عِنْــدَه بجــزاءِ

بــل رغبــةً في الانتقــام لأنَّــني ... لم أرضَــه زَوْجًــا فخــان نِــدائي

مَنْ كان ينقضُ هكذا عهدَ العُلى ... أوْلى بــه مــوتُ الخبيــثِ الــدَّاءِ

أينــالُ (أورليــان) مــنِّي هكــذا ... متناســيًا ودِّي وطــولَ وفــائي؟!

ويفوتــه ضَــرْب الخــؤون المعتــدي ... بالسـيف، وهــو مخــادعٌ ومُرَائــي

مَــنْ خــانَ أُمَّتَــهُ فلــيسَ لمثلــه ... شَــرَفٌ ولا حــقٌّ لــدى الأعــداءِ!

الإمبراطور (غاضبًا) :

أصــحيحٌ مــا قُلْتِــهِ عَنْــه؟ ... إنِّي ... لم أكــنْ مُخطِئًــا إذنْ عنــدَ ظَــنِّي

أخْرِجُوه! ... أجلْ! ... فلستُ براضٍ ... عــن جبــانٍ مخــادعٍ شــاء غَبْــني

(يقبض عليه جنديان ويخرجانه من بين القواد وهو في اضطراب والقواد يتهامسون في دهشة.)

الجند :

قُلْ دِفاعَكْ

قُلْ دِفاعَكْ

القائد بيلنيوس (في وجل محتجًّا) :

مــاذا؟! ألــيس تحــايُلي ومحبــتي – برًّا (برومة) – سرَّ كلِّ نجاحِهَا؟!

سَـيْفي تقـدَّم سـيفَ كـلِّ مجَنَّـدٍ منهـا، ورأيـي كـان رُشـدَ سـلاحهَا!

هــل كــان يُغْـنِي جيشــها بمــآزقٍ لـولايَ مـا خضـعتْ إلى مُجْتَاحِهَـا؟!

الجند وقوادهم :

جَهْـــــلًا تمـــــنُّ علينـــــا ونحْـــــنُ أبنـــــاءُ (رومَـــــهْ)

الوارثون الشَّجاعهْ

إنْ طِبْـــــتَ نفسًـــــا وَعيْنـــــا فأنـــــت أصـــــلُ الخُصـــــومَهْ

وداءُ مُلْكٍ أضاعهْ

الإمبراطور (غاضبًا) :

أنْـتَ يا مَـنْ أسـاءَ عَمْـدًا لتاجِـهْ وعَرَفْنـا الحُـرُوبَ مِـنْ إنتاجِـهْ

سـوفَ نجزيـك بالنُّضـارِ ولكـنْ ذائبًـا شـاربًا كِفـاءَ احتياجِـهْ[1]

نحـنُ أشـرافُ هـذه الأرض نَأْبَى عِـزَّةً للخـؤون رغْـمَ احتجاجِـهْ

كـلُّ نفـعٍ بذلتَـه لـيس نفعًـا يا خـؤونًا فخـارُهُ في اعوجاجِـهْ

(يجره بعض الجند إلى خارج المسرح.)

القائد بيلنيوس (مستغيثًا) :

... ... يا مليكـــــــــــــي!

الإمبراطور :

... ... خَسِـــئْتَ! لا تُرجِعُـــوهُ

إنَّ قَطْـعَ اللسـانِ أوْلى بجـان مثـلَ هـذا الـذي تـدنَّسَ فُـوهُ

هَـدَّ مُلْكًـا وخـانَ عَرْشًـا وأوْدَى بنفـوسٍ منَّـا ومنهـا ذَووهُ!

(يذهب به حرَّاسه.)

القائد بيلنيوس (يسمع صوته خارج المسرح متضائلًا) :

خـانني الـدَّهرُ ... ومَـن قـد ظنَّـهُ خائنًـا مـن بعـد ذاكَ الانتصـارْ؟!

بِئسـتِ الـدُّنيا الـتي كـم خادعـتْ ثم جـازتْ مَـنْ يُجاريهـا بنـارْ

الزباء (متأثرة شاكرة) :

ثأرتَ لعِـزَّتي إلَّا بقـايا ولكـنْ قـد قضـيتَ علـى جَـوَايا

ولسـتُ أهـاب مَـوْتي بعـد هـذا فبعـد الثَّـأْر في مـوتي رضـايا!

ومـا ذُلُّ المُلـوكِ بهَـدْم ملـكٍ ولكـنْ كلَّمـا صـاروا ضَـحايا!

كَشَـفْتَ قِنَـاعَ مَـن أذْكـى حُـرُوبًا لنكبتنـا وأورثنَـا الـرَّزايا

فصُـنْتَ كـرامتي وَحَمَيْـتَ عرْضـي فلـم أبـكِ الجـلالَ ولا هـوايا

إذا الـنَّفْسُ العزيـزة لم تُسـخَّر فمـا تخشـى الـوبالَ ولا المنـايا!

ومـا هـذي السَّلاسـلُ رَمْـزُ ذُلٍّ إذا كانـت تُكـرِّمني السـجايا!

الإمبراطور :

ارفعــوا هــذه السلاســلَ عَنهــا ولْتُـــؤَدُّوا عظـــيمَ التَّحِيَّـــهْ

(يفعل حراسها ذلك وينحني لها الجميع احترامًا.)

الزبَّاء :

أيُّ شُــكْرٍ إليــكَ أُسْــدي فَيُــوفي صِــدْقَ حسِّــي بــذلك المعــروفِ

الإمبراطور :

اجْلسـي الآن جـانبي رَمْـزَ عـرشٍ مِـنْ جـلالِ النُّهَـى ومـن عَبْقَريَّـهْ

(تقترب الزباء منه فيضع إكليل الغار الذي أمامه على رأسها ثم يساعدها على الجلوس بجانبه في العربة الملكية.)

والْبسي الغَارَ أنتِ في الأسرِ أوْلَى بالجــلال الــذي يشــوق البَرِيَّــهْ

نَفْسُــكِ الحُــرَّةُ العظيمــة دَوْمًــا تقهــر الــذُّلَّ والنفــوسَ الدَّنيَّــهْ

بعد صَفْحي عن الذي قد تَوَلَّى من حُرُوبٍ ومن مُصاب الرعيَّهْ

ليس عندي سوى التجلَّةِ تُهْدَى للَّــتِي أنــتِ مــن صــفاتٍ ســنيَّهْ

ستعيشـــين في ضـــيافةِ مُلِكـــي بـــين أولادِك الحيـــاةَ الرَّضِـــيَّهْ

ستعيشـين في عُلَـى قصـر (تَيْبـوُ رَ) حيـــاةً عزيـــزةً مَلَكيَّـــهْ

لَسْـتِ مَـنْ تُنْكـرُ الوفـاءَ لموطِنِـ ـك الثاني فدُومي له بصدقٍ وفيَّهْ!

الزَّباء (تصحبها أصوات بقية الحاضرين وتنشد شاكرة بينما تستأنف العربة الملكية سيرها ببطء وقد أقبل عدد وافر من الشعب رجالًا ونساء في رقص وطرب) :

اضْـحكي يا سمـاءْ ابْسـمي يا أمـاني لاعتـدالِ الزمـانِ

قـد مَضـى كالهبـاءْ هَـمُّ شـاقٍ وعـانِ فارقصـي في تهـانِ

ولْيَـدُمْ في عَـلَاءْ في رضًـى في أمـانِ دونَ واشٍ وجـانِ

العظـيمُ المضَـاءْ ربُّ هـذا الجَنَـانِ والجِنَـانِ الحسـان

فلتعشْ يا مليكْ ولْتَفُزْ يا مليكْ

(تُسدل الستار العامة فورًا.)

الهوامش

(١) أي: شاربًا من النضار الذائب ما يساوي احتياجه.

الفهرس

تَصدير ٥

سيرة الزباء..... ١١

مَوْضُوعُ المسرحية ١٩

أشخاص المسرحية ٢٥

نَسَقُ التَّمثِيلِ..... ٢٧

الفصل الأول ٣٥

الفصل الثاني..... ٥١

الفصل الثالث ٦٥

المنظر الأول..... ٦٥

حصن تدمر..... ٦٥

المنظر الثاني..... ٧٢

الفصل الرابع ٨١